١٠٨٩

1089

HARLEQUIN

كبير

دار م. النحاس

وداعاً للأحزان

غايل كاي

www.elromancia.com

مرمورية

وداعاً للأحزان

غايل كاي

ندى تريشا دار أزياء عملت على انجاحه بعد مرور سنوات من التعب والاجهاد المتواصل.
لكنها كانت خائفة من امر حصل معها في الماضي ولم تستطع نسيانه حتى بعد ما كبرت.
لكن مع دخول رويس وابنه داني في حياتها تخلصت من احزان الماضي.

لبنان: ٢٠٠٠ ل.ل. – سوريا: ٦٠ ل.س – الكويت: ٧٥٠ فلس – البحرين: ١ دينار – قطر: ١٠ دراهم – السعودية: ١٠ ريالات – الامارات: ١٠ دراهم – الاردن: ١,٥ دينار – المغرب: ٨ درهم مغربي. – سلطنة عمان ١ ريال. – تونس: ٢ دينار

تعتبر تريشا نجاح تجارتها اهم شيء في حياتها، فهي بالنسبة اليها بمثابة تعويض عن الفشل المعنوي الذريع الذي منيت به في صغرها والذي كاد يقضي عليها. عملها في التجارة لا يعني بالضرورة انها قد نسيت صدمتها. ولكن الايام علمتها ان تمضي قدماً تاركة وراءها كل ما من شأنه اعاقة مسيرتها.

www.elromancia.com

غايل كاي

غايل كاتبة روايات عاطفية، تعيش في كنساس سيتي مع زوجها. كتبت روايتها الأولى سنة ١٩٨٧ ونالت عليها الجائزة الذهبية للكتاب الروائيين. من هواياتها، بالاضافة إلى الكتابة تحب السفر والمطالعة.

www.elromancia.com

Abir 1089

وداعًا للأحزان

غايل كاي

دار
مؤسسة النحاس
للطبع و النشر و التوزيع
بيروت - لبنان

الفصل الأول

«تعالي إلى والدك يا ابنتي!»

تجاهلت تريشا وينرايت كلام الرجل الذي افسد صباحها المبهج. اكملت سيرها دون تلكؤ، فيما راح حذاؤها ذو الكعب العالي يترك اثراً فوق الرصيف المؤدي إلى مدخل متجرها دار الإزياء.

فتحت الباب واجتازت عتبته بسرعة كالرياح التي تهب فجأة، ولم تكن قد مرت بفرشاة التجميل فوق بشرتها لتضفي عليها البريق المعتاد.

«سللت عواء هذين المسخين.» قالت لمساعدتها لوسي المنشغلة بتوضيب عدد من المناديل الباهظة الثمن. ثم تابعت: «كم ستطول معاناتنا؟»

قذفت بحقيبتها السوداء تحت الطاولة قبل ان تسمع رد لوسي.

«أووه، ما اجمله!» هتفت ساخرة تعيد كلام احدهم وتابعت: «لا اعلم ان كان يقصد وجهي أو ثوبي.»

توجهت تريشا بنظرها والغضب يتملكها عبر النافذة فلمحت رجلين ضخمين يعالجان بضعة قضبان حديدية.

اجابت لوسي وهي توضب مناديل الحرير فوق احدى الرفوف الزجاجية: «اعلم، فقد سبق لي وتلقيت الترحيب عينه وهو يكفي لإضفاء حمرة الخجل على وجه أية فتاة.»

اردفت تريشا محدقة بالورشة المواجهة لمتجرها: «لا

تسلم اية فتاة من تعليق اولئك الأوغاد، سنفقد زبائننا ان بقينا على هذا الحال.»

«لست ادري يا تريش. يبدو ان السيدة ابرنات قد سرت عندما دعاها احدهم بذلك.»

«لا!» هتفت تريشا وقد مرت بيدها فوق شعرها الداكن واضافت وقد جحظت عيناها من فرط الدهشة: «قولي ان هذا لم يحدث!»

جزمت لوسي: «أجل، يا لحظنا الكبير.»

«ليس حظنا الكبير هو بيت القصيد.»

قد تكون السيدة ابرناتي قد سرّت لسماعها تعليقات كهذه، انما بقية زبائن تريشا المحترمات لن يسعدن حتماً، كانت تخشى فقدان زبونة واحدة.

لقد عملت جاهدة وضحت بالكثير لإنجاح تجارتها. امضت سنوات ثلاث طوال، بينما كان طعامها عبارة عن طبق من المعكرونة مع زبدة البندق، اما مسكنها فمتواضع للغاية، وهذا ما اوصلها للنجاح. برأسمال زهيد جداً تمكنت من الوصول إلى ما هي عليه اليوم. اختارت موقعاً جيداً في ضاحية شهيرة من ضواحي دنفر.

وبما ان هذه الضاحية كانت شهيرة، فهذا يؤدي الى انشاء ابنية حديثة، والابنية الحديثة جلبت هذين الوغدين اللذين يتحرشان بزبائنها.

صممت تريشا بعزم على منعهم من افساد ما وصلت إليه بتضحيات جمة وجهد كبير.

«اسهري على المتجر لفترة وجيزة يا لوسي.» قالت وهي تشعر بالغضب الشديد: «سأجري محادثة بسيطة مع رئيس

عمال شيش وشونغ على امل ان تكون اخلاقه افضل من اخلاق رجاله.»

«كما تريدين يا تريش!» هتفت لوسي وراءها.

كان الجو يشتد حرارة فيما راحت تريشا تجتاز الشارع، وكانت السترة المخططة التي ارتدتها لا تتناسب مع الجو الحار بتاتاً.

عزمت على انهاء المسألة وبسرعة مع رئيس العمال، وتعود بعدها إلى متجرها مرتاحة البال على ان يعود عملها إلى سابق عهده.

«يا حلوتي، ما اجملك!»

ظلت محدقة امامها دون ان تنظر إلى هذا الرجل، مدركة انها لو التفتت إلى فوق، سيقع نظرها على الرافعة الفولاذية.

عظيم! دخل زميل له على الخط الآن، وسمعتهما يتحاوران بشكل مبتذل. اجتازت تريشا مدخل الورشة، وكلها امل بأن يكون رئيس العمال رجلاً متزناً. لفت نظرها وجود يافطة على جانب المكتب كتب عليها ماكنزي للبناء، ها هي على بعد خطوات من مدخل المكتب، وإذ به يفتح فجأة ليطل منه رجل عريض المنكبين حاملاً بيده خريطة هندسية.

لا بد انه رئيس العمال لأنه يحمل هذه الخريطة بينما هذين الرجلين فوق الرافعة يجهلان القراءة على ما يبدو.

شعرت بالثقة التامة عندما رأته، فذاك الرجل سيساعدها حتماً، وسيكون قادراً على تأمين المساعدة لها. قالت: «ايمكنني محادثتك؟» لقد تخلل صوتها بعض الاضطراب.

ابعد قبعته الصفراء عن جبينه ورمقها بنظرة جعلتها تشهق اذ شعرت بالقسوة التي تتخللها.

راحت عيناه الداكنتان تتفحصانها بدقة فائقة، ثم قال: «ايمكنني مساعدتك؟» بادرها بالسؤال.

جاءت عبارته وكأنها تعاني نوعاً من فقدان شيء ما، ربما فقدان الاوكسيجين، فقد كانت تتنفس بصعوبة، وحاولت تجاهل تسارع نبضات قلبها من شدة الخوف.

«اتيت اشكو اليك رجالك.... لقد قالوا اشياء...»

علت شفتيه ابتسامة ساخرة، وادار لها ظهره ثم توارى داخل القاطرة.

ادركت تريشا انه لن يصغي اليها، هكذا وبكل سهولة انسحب من امامها! سارت في اثره وقد اجتاحتها موجة من الاستياء.

«لا تظن انك ستنجو مني بسهولة.» قالت ذلك وهي تخطو إلى الداخل.

«صدقيني، الابتعاد عنك كان آخر أمر افكر به.» تناهى صوته إلى اذنها اشبه بهمس خافت. ثم اضاف: «انما لو تودين متابعة المناقشة خارجاً فسيكون عليك ان تعتمري هذه.» وألبسها قبعة كالتي يعتمرها.

كانت القبعة كبيرة الحجم فغطت جبينها، فبادرت إلى تصحيح وضعها فوق رأسها.

تابع: «والآن ما الذي ذكرته بخصوص رجالي.»

كانت نظراته الباردة تشعرها بالخجل، لقد جاءت وبها عزم على انهاء المسألة معه، ولكنها الآن تؤثر القيام بذلك خارج مكتبه.

«بما انني بالزي الرسمي الآن.» قالت وهي تبعد القبعة بعض الشيء. «يسرني ان اخبرك، في الخارج.» اضافت مشيرة إلى الباب.

ابتسم لها وقال: «تفضلي.»

في الخارج، حيث قيظ الصيف، خامر تريشا شك حول صوابية اختيارها مكان المواجهة، القاطرة كانت اكثر برودة.

«انني تريشا ويزايت واملك متجر الملبوسات المواجه، كان رجالك...»

بادرها بالقول: «يقولون اشياء.»

«هذا صحيح.» قالت آملة محو الابتسامة الهازئة عن ثغره، كانت رائحة الغبار وآثار العمل الشاق تفوح منه.

«اي نوع من الكلمات؟»

«ماذا؟»

«أي نوع من الاشياء كان يردّدها رجالي؟»

لم تتوقع ان تكون بمثل هذه الصراحة، ولكنها راحت تسرد باسهاب تعليقات الرجال، منتهية بالعرض الذي قدموه للسيدة ابرناتي.

نظرت اليه تريشا بانتظار ان تتلقى منه اعتذاراً ما، أو وعد بعدم تكرار ما حصل، ولكنها لم تحظ سوى بابتسامته الساخرة.

قالت غاضبة: «ليس في الأمر ما يضحك. اريدك ان تضع حداً لتعليقات رجالك... فهي تزعجني وتزعج زبائني.»

أجاب ببرود: «ماذا تتوقعين ان افعل؟»

«انت رئيس العمال، اليس كذلك؟»

اجاب موضحاً: «المالك ورئيس العمال رويس ماكنزي.»

اجابت وقد اخذها العجب: «عظيم، انت من يمنحهم الرواتب اذن، سيمتثلون لاوامرك في هذه الحال.»

«ربما.»

«ماذا تعني بـ ربما؟»

لطالما تمكن رجاله من التنصل في مواقف عدة سابقة، وهذا ما قد يحدث الآن. كانوا عبارة عن زمرة من السفلة، وهم يضعون ما يقدمون عليه في طي النسيان. يعملون بشراسة، هذا صحيح ولكن الاعيبهم هذه تفوق عملهم شراسة.

خامره شك بأن ترضى السيدة ويزايت بهذا المبرر. ابتسم ووجد نفسه عاجزاً عن لوم رجاله لتصرفهم، وهو يقف امام امرأة بهذا الجمال. ثم قال: «سيدة ويزايت، انني اعذر رجالي، لا اعلم شيئاً عن زبائنك، ولكنني أقف أمام امرأة فائقة الجمال.»

شعرت تريشا بالارتباك، فأجابت وهي تجاهد للمحافظة على رباطة جأشها: «تقصد بقولك ان هذا شأن الفتيان دوماً.

أجاب: «لا، اعني الرجال هم دوماً انفسهم.»

لقد استمعت إلى ما يكفي لجعلها تستنتج بانه لن يساعدها. في الواقع، هو رجل خطير، هذا ما توصلت اليه بعد حديثها معه، وان كانت تهمها مصلحتها، فعليها مغادرة المكان على الفور.

قالت: «اشكرك لأنك اصغيت الي يا سيد ماكنزي.» ثم نزعت القبعة وسلمته اياها، واستدارت منصرفة.

«احذري!»

سمعت تريشا تحذيره المفاجيء، فابتعدت بسرعة الى الوراء، ثم تابع يقول: «أمعتوهة انت، كيف تسيرين تحت رافعة ملأى بالأعمدة الفولانية؟»

«ماذا؟»

رفعت نظرها لتعاين الخطر الذي كان محدقاً بها، ثم شهقت شهقة حادة.

رفعت يدها لتصحح من وضع المشبك فوق ثوبها، فلمح عندئذ انامله الخالية من الخواتم. كان يتصور انها عزباء، فهو يتعرف اليهن دوماً، نفس النظرة الماكرة في اعينهن، ولكنه لمح في عيني تريشا ما هو اعمق، ظهر انها حتى الآن لم تتعرف على أي رجل.

وقعت منه القبعة التي سلمتها اليه، فانحنى ليلتقطها ويعيدها إلى رأسها. «تعالي سأؤمن لك الحماية إلى ان تغادري الورشة بسلام.»

«ليس من داع لتؤمن لي الحماية، سألتف حول...»

قال مكملاً عبارتها: «الرافعة.»

ردّدت: «اجل، سأكون بأمان تام.»

«اجل، كما كنت من ثوان خلت.» لم يدعها تتكلم بل امسك بذراعها مجتازاً بها الشارع، لم يتمكنا من الاسراع بسبب حذائها ذي الكعب العالي. فقال لها: «لست ادري سبب انتعالكن لهذه الاحذية، فهي تعيق الحركة.»

اعقبت: «انت تضاهي رجالك بدائية وجهلاً.»

«سبق واتهمت بذلك!»

«لا يدهشني الأمر.»

سألها وقد وصلا الرصيف: «اهذا هو متجرك؟» وتأمل باعجاب واجهة المتجر المزينة بذوق رفيع.

«اجل.»

«اقترح عليك البقاء هنا ومتابعة اعمالك.»

تابعت كلامه: «والابتعاد عن املاكك، أهذا ما تعنيه؟»

«شيء من هذا القبيل.»

استدارت تريشا لمواجهته وقالت: «يسرني ذلك بشرط ان تعدني بتحسين سلوك رجالك.»

ابتسم ابتسامته الساخرة واجاب: «ان رجالي، لا يهتمون سوى بإداء الواجب الذي يعيلهم.»

لاحظ الغضب الذي لاح في عينيها وهي تتأهب لاجتياز الشارع.

«رجل بربري حقاً.» تمتمت تريشا وهي تدخل متجرها، املت ان يخفف مكيف الهواء شيئاً من غضبها. لوسي وبرفقتها ثلاث نساء التفتن اليها، وادركت عندها انها ما زالت تعتمر القبعة الصفراء: «انها من ضمن الأزياء الجديدة.» قالت ذلك مبتسمة للنسوة المندهشات.

تبادلت النسوة نظرات حائرة، فيما تبعتها لوسي إلى الغرفة الخلفية وبادرتها قائلة: «واضح ان الأمور لم تسر كما يجب.»

اردفت تريشا: «ما هو اثباتك الأول؟»

«تصرفك.»

«لا، القبعة المقيتة؟» خلعت تريشا القبعة غاضبة، وقد عزمت على عدم العودة إلى ذلك المكان لإرجاعها، فكرت وهي تعبث بها بأن تجعل منها إناء للزهور.

سألتها لوسي: «هل قابلت رئيس العمال؟»

صححت تريشا كلامها: «المالك.»

«هذا افضل!»

«اخشى العكس.» قالت ذلك وهي تقذف بالقبعة فوق تلة من الجوارب والأحزمة.

«السيد رويس ماكنزي مقتنع بأن رجاله اوغاد.»

اعقبت لوسي: «اوغاد بألسنة طويلة.»

ضحكت تريشا للجواب، ثم سكبت لنفسها كمية من القهوة تكفي لاعادة البعض من هدوء اعصابها، وسألت لوسي: «هل السيدات يبتعن ام فقط يتفرجن؟»

اجابت الفتاة: «اثنتان منهن قصدتا تنزيلاتنا الصيفية، اما السيدة مارغريت بنسون فمهتمة بالمجموعة الشتوية.»

رفعت تريشا حاجبيها وقد بدا الاهتمام على ملامح وجهها، فوضعت الفنجان على الطاولة وقالت: «علينا اذن ان نعرض عليها مجموعة ليلي آن الجديدة، فالذهبي والاحمر سيلائمانها حتماً.»

تريشا لا تهدف إلى الربح فحسب، بل تصبو إلى ارضاء زبائنها.

«أولاً، اتصلي باخيك فقد ترك رسالة فيما كنت تتفاهمين مع السيد ماتشو، سأهتم بأمر ماريت.» قالت لوسي ذلك ثم مضت.

حملت تريشا فنجان القهوة واتجهت نحو حجرة الهاتف. شقيقها هو كل من بقي لها من عائلتها، وقد كانا متقاربين برغم انشغالها الدائم بمتجرها، بينما هو يحصر اهتماماته باعماله القانونية إلى جانب اهتمامه بنشاطات ابنه كيفن

الرياضية. طلبت رقم مكتب جوف، فهو الذي يتولى معاملاتها القانونية كلها، خيل اليها انه طلبها لمحادثتها بشأن المفاوضات الجارية مع المالك لتوسيع المتجر. صممت على ذلك وهي ترى حركة العمران القائمة من حولها، اما العائق الوحيد، فكان عقار ماكنزي المتاخمة لمتجرها.

عمدت تريشا مؤخراً إلى استحداث فرع للانجري وثياب البحر، ومتجرها الحالي، يكاد لا يتسع لهذه البضائع الجديدة، فعزمت على ضم المساحة المتاخمة لمتجرها، ولكن المالك لا يزال على موقفه من الرفض القاطع.

«ما الامر، يا جوف؟» سألت شقيقها بعد ان حوّلت السكرتيرة الاتصال اليه، لم يكن لدى جوف من انباء جديدة حول المفاوضات، ولكنه اتصل بها لدعوتها إلى حفلة ابنة كيفن في المساء.

قال لها: «يصر كيفن على حضورك.»

ابتسمت تريشا، فهي تدرك ذلك، ولكنها عازمة على الحضور لتقديم هديتها والانصراف قبل توزيع الحلوى والمثلجات. انها لا تحتمل ضجة الاطفال، وتعلم سلفاً ان زوجة شقيقها قد دعت العديد منهم اذ انها تحبهم جداً، تريشا تحبهم كذلك، انما من بعيد، دون التدخل بحياتهم الخاصة. فهذا برأيها اكثر اماناً. اخبرت تريشا شقيقها انها قد تتأخر متذرعة ببعض الاعمال.

«الحفلة تبدأ في الساعة الخامسة، دعي لوسي تتولى اقفال المتجر، اما الاعمال فبامكانها الانتظار للغد، ولا داعي للأعذار.»

انتزع وعداً منها قبل ان يقفل الخط. تنهدت تريشا وهي تضع فنجان القهوة جانباً لتنضم إلى لوسي.

قاربت الساعة الرابعة والنصف، ولم تكن تريشا قد اختارت هديتها بنفسها، فقد اتصلت بمتجر الألعاب وطلبت من بوب وينترز اختيار هدية لها. ساءها ان تعهد إلى لوسي بأمر اغلاق المتجر، ولكنها لا تريد ان تخيب امل كيفن.

اكدت لها لوسي: «اجيد التصرف، اذهبي واستمتعي بوقتك.»

جمعت تريشا اوراقها وخرجت مسرعة، ما كادت تصل امام مدخل متجر بوب للالعاب حتى اجفلها صفير حاد، تبعه احد يقول: «يا حلوتي، اتريدين شراء دمية؟»

استشاطت تريشا غضباً، لا بد وان ماكنزي لم يكلم رجاله، سيما وانها تلقت العديد من الشكاوى من زبائنها بعد ظهر هذا اليوم، التفتت تريشا نحو الورشة، فيما كان المشاكسين فوق دعامة الفولاذ. اما ماكنزي، فلا اثر له.

فتحت باب متجر الالعاب ودلفت وهي تفكر بحل ينهي هذه الأمور، ولكنها للآن تجهل كيفية تحقيق ذلك.

لمحها بوب وينترز فسألها وقد فاجأه دخولها المفاجيء: «لما انت غاضبة؟» اعجزها الغضب عن الرد، فمنحت ابتسامة لرجل مسن لمحته يعاين قطار خشبي بكامل عدته.

«شكراً بوب لاختيارك هديتي.» قالت له ذلك فيما انشغل بتركيب سكة حديد ذات الوان اخاذة، ثم اضافت: «لا املك ادنى فكرة بما يريده ابن السبع سنوات.» ضحك بوب لعلمه التام بما يريده الاولاد، فقد كان بحد ذاته ولداً كبيراً.

اتجه نحو أحد الرفوف ليخرج الهدية قائلاً: «لكنت عرفت ما يريده الاطفال لو كنت متزوجة.»

انقبض قلب تريشا، نظرت الى وجهه العجوز الضاحك دوماً وقالت في نفسها، انت مخطىء يا بوب، الاطفال نعمة، ولكنهم متعبون.

حركت الهدية برفق قائلة: «ما الذي اخترته لي؟»

«ديناصور، ليس من فتى على الأرض لا يحب هذه الشخصية.»

«ديناصور.» رددت وكأنها وجدت الحل.

وجدت تريشا عذراً لتأخرها عن الحفلة، لدى وصولها، كان الأولاد يلتهمون الحلوى والمثلجات، اما الهدايا فتملأ المكان وفي الهواء تطايرت البالونات الملونة. رمقها جوف بنظرة معاتبة، واسعفتها بتينا وقد رأت الهدية بين يديها.

هتفت: «كيفن، حضرت عمتك تريشا.»

وقف كيفن بسرعة، واقترب منها لتقبله، ثم راح يمزق غلاف الهدية.

«شكراً، عمتي تريشا.» قال مستدركاً قبل ان يهرول إلى رفاقه ليطلعهم على آخر هدية تلقاها.

«دعونا كل افراد فريقه، ونصف الجيران.» تابعت بتينا، فيما راحت تريشا تحدق بذعر إلى الاولاد وهم يقلبون اثاث الشقة رأساً على عقب. «لحسن الحظ، سيحضر ذووهم لاصطحابهم قريباً.»

تابعت بتينا: «رافقيني إلى المطبخ، قد احتفظت لك بقطعة حلوى لتتناولينها مع القهوة.»

تساءلت تريشا بقلق: «ايجوز تركهم بمفردهم؟ اعني، الا ينبغي مراقبتهم؟»

«لا بأس عليهم.» اجاب جوف، وقد دفع بها نحو المطبخ. قدم اليها طبقاً من الحلوى، وتأهبت بتينا لتقديم القهوة فأفرغت محتوى الابريق دون قصد منها على الطاولة.

«النجدة جوف.» صرخت محاولة التقاط القهوة بالمناديل الورقية.

قرع جرس الباب في هذه الاثناء، فقالت تريشا: «سوف اهتم بأمره.»

قالت بتينا: «قد يكون والد احد الفتيان. سلمي الفتى لوالده، ورافقيهما حتى الباب.»

قالت تريشا: «امر بسيط.» ولكن لدى فتحها الباب ادركت فداحة الخطأ الذي ارتكبته.

كان رويس ماكنزي يقف امامها، يتأمل وقع المفاجأة عليها.

الفصل الثاني

لم تستطع تريشا ابعاد ملامح الدهشة عن وجهها، فقد كان رويس آخر شخص تتوقع رؤيته ماثلاً امام باب شقيقها.

ما الذي جاء به؟

تناهى الى سمعها صوت ضحكات الاطفال وهم يلهون داخل الغرفة. هل ابنه واحد منهم؟ اثنان ربما ام ثلاثة؟ لا تعلم شيئاً عنه، وان كان ما تعرفه عنه حتى الآن، بعيد كل البعد عن مسألة الأبوة.

سألها اذ لم يتلق دعوتها: «ايمكنني الدخول؟» ابتسم وقد آنسه ارتباكها المفاجيء.

اجابت بأدب ولطف: «أجل.»

اجتاز العتبة ثم قال: «هل ابتدأ الحفل؟» وبدا رويس عازماً على متابعة اسئلته على مثال أي ريح قذفت بك إلى هنا؟ ولكنه تراجع.

لم يتوقع رؤيتها مجدداً، ليس هنا اقله.

ترتدي الآن ثياباً عادية، انما من الطراز الرفيع، ما جعله يستنتج انها من بضاعة متجرها.

وينرايت، فاته مقارنة الاسم مع اسم صديق داني الجديد، كيفن وينرايت.

من عساها تكون؟ ليست والدة كيفن، فقد سبق له وان قابلها، امرأة كثيرة الكلام.

سألته فيما راحت تنظر إليه باهتمام واضح: «هل تكون والد أحد الفتيان؟ اعني... هل اتيت لاصطحاب احد...؟»

لم تكمل عبارتها بل اكتفت بالاشارة إلى الغرفة المواجهة. اذن، فهي تهتم بأمره، شأنه هو ايضاً. ابتسم للفكرة بأنه لا يبدو كوالد نموذجي، فلا يملك الخبرة الكافية شأن جميع الآباء وامامه الكثير ليتعلمه، بيد انه كان جاهلاً مدى افتقاره للحنكة في تلك المسائل.

لمحه في تلك الاثناء داني، فدنا منه وفي وجهه حماس شديد قائلاً: «وأبي، ينبغي ان ترى الاشياء المذهلة التي تلقاها كيفن، ايمكنني الاحتفال بذكرى مولدي انا أيضاً؟»

كان هذا بمثابة رد على تساؤلها، رفع نظره ليرى بأنها تراجعت بضع خطوات، لمح في عينيها بعض الغموض، وقرر بأنها ليست امرأة سهلة الفهم، احس بأنها تخفي جزءاً من حياتها عن الآخرين، شيء مؤلم ربما، وهذا ما اثار فضوله. هتف داني من جديد: «أبي، ماذا بشأن الحفلة؟ يمكنني دعوة كيفن و...»

«مهلك يا داني، هل التقيت السيدة وينرايت؟»

منحها داني ابتسامة واسعة وقال محيياً اياها بيده: «مرحباً.»

نظرت اليه تريشا ببرود واجابت: «مرحباً.»

اعتقد رويس بأنها عديمة الخبرة فيما يختص بالاطفال، على عكس بتينا التي راحت ترحب بكل ولد يدخل المكان.

التفت نحو داني، وقد ابعد هذه الأفكار عن باله مؤقتاً وقال: «حفلة ذكرى مولدك؟ حسناً، ما زال الوقت مبكراً، ولكن بوسعنا درس الموضوع.»

راقبت تريشا تبادل الاحاديث ما بين الاثنين ومرت بخاطرها سحابة من التساؤلات، فقد ادهشها ان تعلم انه والد، وعلى ما يبدو، يملك ناحية من الطيبة وهو أمر لم تتوقعه أبداً. انما كل ذلك لا يعني انها قد غيرت رأيها فيه.

ذلك الرجل رفض الاصغاء اليها صباحاً، وهي تتوق إلى انصرافه سريعاً برفقة ابنه.

قال داني متسائلاً: «اعلينا الرحيل الآن؟ نحن نلعب لعبة الدخلاء.»

داعب رويس شعر رأس ابنه، ثم نظر الى تريشا مبتسماً وهو يجيب ابنه. «لعبة سريعة يا بني، واكون في هذه الاثناء قد انهيت حديثي مع السيدة وينرايت.»

«عظيم!» هتف داني مسروراً، ومضى للانضمام إلى الحفل.

«ممتاز!» رددت تريشا في قرارة نفسها، فهي لا تريد محادثته، كما وليس لديها ما تضيفه.

دخل جوف في تلك اللحظة، فتصافح الرجلان بينما فكرت تريشا بانها الفرصة المؤاتية للانسحاب.

«سأذهب إلى بتينا، فقد تحتاج للمساعدة.» ثم احنت رأسها لرويس قائلة: «سررت برؤيتك مجدداً، سيد ماكنزي.»

قال جوف وهو ينقل نظره بين تريشا ورويس: «اتعرفان بعضكما البعض؟»

اجابت تريشا بقسوة: «سبق والتقينا.»

«هذا رائع!» قال شقيقها وقد تحولت نظرته المندهشة

إلى نظرة سرور: «ادخل المطبخ يا رويس وتناول فنجاناً من القهوة.»

اعترضت تريشا قائلة: «لا! اعني الابريق قد تحطم.»

اجاب جوف: «لم يعد كذلك، يدي الخبيرة تكفلت بالأمر.»

اذن، هي شقيقة جوف، انه الآن يلحظ مدى تشابههما، لم تفته كذلك ملاحظة جفاءها، هذه السيدة لا ترحب ببقائه ولا بد انها ما زالت حاقدة عليه.

«فكرة رائعة ارغب حقاً بتناول القهوة.» قال رويس ذلك وحول نظره نحو تريشا، ليجد عينيها تشتعلان غضباً.

جلس الجميع حول الطاولة، وتعمدت تريشا الابتعاد عن رويس ما اتيح لها، قدمت بتينا القهوة، وهي تشارك الرجلين الحديث حول فريق اللعب. داني وكيفن منتسبان للفريق نفسه وهو الفريق الذي يرئسه جوف ورويس. كانت معلومات تريشا حول الرياضة معدومة، وبما ان احداً لم يطلب رأيها، اطلقت العنان لأفكارها.

اخذت ترشف القهوة وتشاغلت بطي منديل الورق، فيما افكارها منشغلة بالبحث عن خطة للخروج من المطبخ. اما جوف وبتينا فقد كانا يتذمران من تصرف بعض الاهالي الذين كانوا يوجهون الملاحظات للمدربين اثناء المباراة.

«مجرد التفكير بهذه الحشود وهي تتهكم وتصفر يجعلني انتفض غضباً!»

ملاحظة زوجة اخيها اثارت انتباه تريشا، وتناست عندها أمر خروجها من هذا البيت، يجب ان تلتقي بتينا بالسافلين اللذين يعملان لحساب رويس!

قال جوف بلهجة جادة: «تصرفات كهذه ليست مستحبة في مباريات للاطفال.»

تابع رويس مؤيداً: «تصرفات كهذه ليست مستحبة في أي مكان، انها تصرفات فظة ومرفوضة تماماً.»

تطاير الشرر من عيني تريشا، ومع ذلك قالت بصوت هادىء: «اصحيح ما نكرته يا سيد ماكنزي؟ تعتبر التعليقات الساخرة فظة؟ اهذا ما قلته؟»

ظهر الارتباك على وجه رويس، فاردفت متجاهلة امتقاع وجهه: «لا يمكنني السكوت اكثر.»

«هذا التصرف ينتسب فقط إلى العقل الراشد.»

ايقن رويس انه اخذ على حين غرة، وان تريشا ليست بالند السهل ولكن هذا لا يعني الإذعان.

قرع جرس الباب، وحضر المزيد من الاهالي لاصطحاب اولادهم حيث ان الحفلة على وشك الانتهاء، انسحب صاحبا الدعوة تاركين تريشا ورويس معاً.

سألها: «اهنالك ما تودين الافصاح عنه، سيدة وينرايت؟»

القت تريشا بالمنديل الورقي، وقالت: «في الحقيقة، نعم يا ماكنزي. فالرجلان اللذان يعملان لديك باتا لا يحتملان، لم اعد اقوى على تحمل شكاوى زبائني من جراء تصرفاتهما.»

اصبحت الآن في حالة شديدة من الغضب وهي تضيف: «هل تسمح ان تتعرض زوجتك للفظاظة التي تعتبرونها انتم الرجال اطراء؟»

«لا زوجة لدي، لذا لا يسعني الاجابة على سؤالك.» ثم تابع شبه مبتسماً: «اهذا ما كنت تسعين اليه؟»

اجابت ببرودة: «كان سؤالي مجرد افتراض.» وما يهمها ان كان لديه زوجة أو لا، انها لا تكترث لأمره ابعدت الفنجان، وأرجعت كرسيها إلى الوراء ثم قالت: «اقترح ان تجري مناقشة ودية معهما والا تصرفت بنفسي.»

• • •

سارت الاعمال بشكل رديء، زبونتان دخلتا المتجر اليوم اما تريشا فتضع اللوم كله على الرجلين اللذين يعملان لدى رويس.

الانذار الذي وجهته منذ ثلاثة ايام لم يعط ثماراً، فقد استمرت تعليقات الرجلين بل وتصاعدت وتيرتها، اقترحت على شقيقها بالامس ان يتقدم بدعوى ضد الرجلين، فرفض متذرعاً بأن هذا ليس من شيم الاصدقاء، ورويس صديقه، عليها ان تتصرف بنفسها لإنقاذ مؤسستها، وبسرعة. تناهى إلى سمعها جلبة في الخارج، حدقت من خلال النافذة لاستطلاع الأمر. ان كان الأمر يتعلق بهذين الرجلين، فستريهما العجب!

توقفت قبل ان تصل الباب، فبالاضافة إلى الاصوات الرجالية هنالك اصوات نسائية، نعم اصوات نسائية محتدة للغاية. اسرعت تريشا نحو الباب، كان يفترض بلوسي ان تذهب لتناول طعام الغداء، ولكنها وجدتها تصيح في وجه الرجال.

كانت بمعيتها غلوريا ورث، وهي زبونة مهمة ومحترمة، انما الآن فهي تقذف بالشتائم.

صاحت تريشا: «هل فقدت عقلك، لوسي ماذا تفعلين؟»

نظرت اليها لوسي وقالت مزمجرة: «نحن نمنحهم ما يستحقون.» ثم التفتت صارخة: «طرزان اتريد...»

«لوسي!»

توقفت لوسي عندئذ، اما غلوريا فقد انخفضت وتيرة صوتها واطلقت تصفيراً حاداً.

صاحت تريشا بغضب: «كفا عن ذلك.»

أجابت لوسي: «ولكنهم يستحقون ذلك. لو انك سمعت ما قالوه لغلوريا.»

تدرك تريشا ذلك، اما غلوريا فقالت: «كنت قادمة لرؤية مجموعة اللانجري و...»

اضافت لويس: «وكنت عائدة من الغداء وقد قررنا في حينها تلقين أولئك الأوغاد درساً قاسياً.»

علقت تريشا: «هذه ليست طريقة لحل المسألة، انتما تتصرفان مثلهم.»

الأمور تتفاقم، وها ان هاتين السيدتين الرزينتين قد عماهما الغضب بسبب أولئك الأنذال. وقد قررت تريشا التصرف، وحالاً!

«لوسي، غلوريا انتظراني هنا!»

تساءلت لوسي: «ماذا ستفعلين؟»

«سأضع حداً لهذه التصرفات.»

لقد انذرت رويس، ودفعته لمحادثة رجاله بود. اما الآن فقد جاء دورها، عليها ان تنفذ مؤسستها قبل ان يعمد هؤلاء الرجال إلى القضاء عليها.

سألتها لوسي: «أمتاكدة انت انه عليك الذهاب اليهم؟ اعني قد يكونون خطيرين.»

تخطىء لوسي ان هي ظنت ان الحرب تعطي ثمارها من بعيد، عليها ان تواجه اعداءها.

«لا تقلقي يا لوسي، سأكون بخير.» قالت ذلك مجتازة الشارع.

كان الرجلان يتناولان طعام الغداء، ويراقبان باهتمام ما يحصل في المتجر المقابل.

«يبدو انه لدينا حسناء فاتنة.» صاح احدهما وقد رأى تريشا مقبلة نحوهما.

صاح الآخر: «اتودين تناول الغداء معنا؟»

فقدت تريشا اعصابها للحظة، قد تكون لوسي محقة فهذين الرجلين خطيرين، لا يبدوان من النوع الذي يتكلم ولا ينفذ، دخلت الورشة، ولم يعد يبعدها عنهما سوى خطوات قليلة و...

«ما الذي تفعلينه؟»

التفتت تريشا وقد كاد قلبها يتوقف، وما كادت تستجمع قواها وجدت نفسها وجهاً لوجه مع رويس ماكنزي.

«انا...» حاولت التكلم لكنها لم تستطع.

فقال: «لا تقومي بأمور لست قادرة على اتمامها.»

«أمور؟»

«اتظنين بوسعك الدخول في نزاع مع رجالي؟»

كانت تعلم ان الرجلين يتفرجان، وتكاد تسمع همساتهما وراءها، ولكن تعليقاتهما توقفت على الأقل، انها غلطتهما منذ البداية، ولكنها تشك بأن رويس سيصغي اليها الآن.

التفت رويس نحوهما قائلاً: «عودا إلى العمل، لقد انتهت فترة الغداء.» انسحب الرجلان كارنبين خائفين.

«اما انت، فقد نلت كفايتك من المرح، هيا بنا.»

المرح؟ كيف عساها ان تجعله يفهم بأنها لم تكن المقصودة، بل لوسي وغلوريا.

تعثرت خطواتها بسبب كعبها العالي اذ راح يجتاز بها الشارع. قالت: «هذا التشييع ليس ضرورياً، يمكنني القيام بذلك بمفردي.»

لم يرد، بل تجاوز لوسي وغلوريا الهادئتان ودخل بها المتجر بصمت، كان المكان خالياً، دفع بها إلى الداخل، هنا على الأقل يمكنها محادثته على انفراد، واجهته قائلة: «لست ارى مبرراً لغضبك.»

فأجاب مزمجراً: «انا مسؤول عن كل ما يجري داخل الورشة، بما في ذلك ما جرى للسيدتين الحمقاوتين.»

«قصدت الورشة لمحادثة ذينك...»

قال رويس مقاطعاً محاولتها تبرير الأمر: «اسمعي، رجالي يعملون بعنف وبحاجة للترفيه، لذا ابتعدي عنهم.»

لم يكن في حياته بهذا العنف، يعلم ان الرجلين المعنيين مسالمان ولكنه لا يضمن ان يبقيا كذلك ان تعرضا للاستفزاز، تلك المهزلة التي تقوم بها مع نسائها قد تؤدي إلى ما يحمد عقباه. ماذا تظن نفسها فاعلة وهي تقتحم ذلك المكان بمفردها؟ انه لم يتمكن من محو نكراها طوال الايام الماضية، تبا! كيف سمح لها بالسيطرة عليه بهذا الشكل.

راحا يتبادلان النظرات الحادة، ثم هدأ وخيم السلام على الغرفة، فقالت: «ينبغي ان اعود إلى عملي، ربما هنالك زبائن...»

قال: «لن يزعجك رجالي بعد الآن، سأتولى الموضوع بنفسي.» ثم اتجه نحو الباب، توقف اذ وقع نظره على القبعة

الصفراء فوق طاولة مكتبها وقد تصاعدت منها وريقات نبتة خضراء، ادرك انها تستخدمها كمزهرية.

قال وقد لمس وريقة منها: «فكرة جميلة.»

احست بوهن بعد رحيله، تعلم انه سيفي بوعده، لن يشكل رجاله عقبة بعد الآن، ولكن ماذا بشأنه هو؟

ابتاعت ماريت بنسون الزي الأحمر المعروض في الواجهة وزمت شفتيها، ربما يجدر بها ان تلبس العارضة التي في الواجهة الزي الكهربائي الأزرق الذي من شأنه ادخال ارباب العمل إلى متجرها.

مرت اربعين دقيقة وتريشا واقفة ترقب النتائج.

هتفت لوسي: «يعجبني هذا.»

«وانا أيضاً.»

احكمت تريشا رباط القبعة حول عنق العارضة، ثم ادارت لها وجهها نحو الواجهة.

ألقت تريشا نظرة نحو الورشة، فوجدت رويس يذرع المكان ذهاباً واياباً، كان يتوقف بين الفينة والأخرى ليصرخ في الرجال العاملين فوق الرافدة الفولاذية بينما الشمس الحارقة حولت المكان إلى ما يشبه اتون نار. رفع رويس يده امام وجهه اتقاء لأشعة الشمس.

لم تره منذ حوالي الأسبوع إلا من هذه المسافة، كان يوماً مشهوداً، فقد وعدها بأن رجاله لن يزعجونها بعد الآن وقد تم ذلك فعلاً، ولكن رويس ظل يزعجها اذ سكن افكارها، واحتل احلامها.

سببت لها نكراه الأرق، فتستيقظ في الصباح منهوكة القوى منهارة.

اجرت تريشا تعديلات بسيطة على العارضة ثم غادرت الواجهة لتعالج شحنة الاكسسوارات التي وصلت صباحاً.

مرت فترة نظرت بعدها تريشا عبر الزجاج لترى شقيقها واقفاً يتأمل الأزياء التي تعرضها وقد كست وجهه تعابير تنم عن عدم الاعجاب، ثم ابتسمت اذ رأته داخلاً.

حسناً، ارادت جذب الزبائن، وقد تم لها ذلك.

قال جوف: «يا له من زي رائع، لا تدعي بتينا تراه.»

«جوف، انه قمة الاناقة، انتم معشر الرجال تجهلون اسرار الأزياء.»

«ربما، ولكن آمل ان تكوني انت ملمة بها. وافق المالك على منحك المساحة الاضافية التي طلبتها، وها قد اتيت بالأوراق لتطلعي عليها وتوقعيها.» قال جوف ذلك ثم اخرج رزمة أوراق من حقيبته وتابع: «كل شيء يسير حسب الأصول.»

هللت تريشا للخبر قائلة: «العجوز فيزماير وافق على عملية التوسيع؟» كانت فرحتها لا توصف، وكذلك لوسي، فالمساحة الاضافية ضرورة ملحة، لأن البضائع مكدسة بصورة عشوائية، كما ان غرف القياسات تحتاج لعملية توسيع وتحسين، ناهيك عن ان تريشا بحاجة لمكتب خاص بها لإنجاز معاملاتها.

بدت الحيرة على محيا تريشا وقالت: «ولكن ظننتك قلت ان...»

«بأنه قد باع العقار باكمله لجاي فينسون، مالك العقار المواجه. كانت صفقة جد مربحة بالنسبة لفينسون.»

كل هذا لا يهم تريشا، جل مبتغاها هو الحصول على المساحة الاضافية، لقد بدأت تجارتها بمتجرها الصغير،

ولم تنفك يوماً عن معايشة حلمها الأكبر بتوسيعه ذات يوم.

كانت مجرد طالبة عندما ادركت انها تملك ميلاً قوياً للأزياء، وهي تذكر جيداً كيف انها كانت تحسن اختيار ملابس دميتها ايام طفولتها.

بعد الدراسة، عملت في احدى ارقى دور الأزياء في نيويورك وقد كانت تراودها اثناءها احلاماً بامتلاك دار ازياء خاصة بها، وقد بات الحلم حقيقة اليوم.

اردف جوف: «اعلمت فينسون بطلبك، انه يتوق للبدء بالعمل.»

راح يفند لها البنود التي بدت مقبولة، ووافقت تريشا على الاطلاع على الأوراق مساءً واعادتها اليه في الصباح.

«هذا يدعو للاحتفال.» قالت لوسي حالما انصرف جوف.

ثم تابعت: «الليلة، بعد الاقفال سنذهب لتناول طعام العشاء في مطعم لويز.»

الفصل الثالث

اطلعت تريشا على ايرادات الصباح وقد سرتها النتيجة. أعمال التوسيع جارية على قدم وساق منذ ان حصلت من المالك على الضوء الأخضر. كان في المتجر زبونتان تتجولان، واحدة تتأمل بواسطة نظاريتها أزياء الصيف، فيما راحت الأخرى تحدق بالملابس الأخرى المزركشة.

قررت العمل حتى في الفترة التي تجري فيها أعمال التوسيع، محققة ربما ارباحاً اضافية فتثبت لنفسها أن زبائنها قد يعذرنها على الفوضى القائمة حالياً. زمّت شفتيها عندما لمعت الفكرة في رأسها ستعمد إلى تقديم حسم على كل القطع الموجودة عندها.

سيصعب عليهن مقاومة هذا العرض، حتى الثريات منهن.

سألتها لوسي: «أكنت تتوقعين حضور رويس ماكنزي؟»

«طبعاً لا يا لوسي، لما تسألين؟» لم ترفع تريشا رأسها بل أكملت مراجعة الحسابات.

«لأنه يقف أمام واجهة المتجر. لكم يبدو وسيماً.»

«هذا لا يدعونا للاهتمام به يا لوسي.»

كان الفضول يسيطر على تريشا، ولكنها أخذت وقتها في النظر عبر الواجهة. كان رويس واقفاً، يتأمل العارضة بالزي الكهربائي الأزرق. أليس من رجل في دنفر يقدر الموضة؟ ولكنها لن تجد رجلاً ببأس رويس يتفهم الموضة مثله.

رغم ذلك فهي تقر بأن له اسلوبه الخاص بالأناقة. بسترته السوداء وبالمنديل الأحمر الذي يلف به رأسه.

مالت لوسي نحو الواجهة الزجاجية ثم تنهدت، ليس على الرجل القيام بأية مبادرة لجذب النساء، فكرت تريشا.

«انظري، إنه قادم.» قالت لوسي بينما اخذت تسرّح خصلات شعرها بأناملها.

فعلت تريشا مثلها، فيما دخل رويس من الباب. ابتسم للوسي ثم لها، فتمسكت بالواجهة لتبقي على ثباتها.

قال مشيراً إلى الواجهة: «رجالي مهتمون بأمر الزي في الواجهة.»

أجفلت تريشا. إنها تعلم جيداً نوع الألبسة التي تستهوي رويس ورجاله، وهم لا بد رأوه على غلاف احدى المجلات وليس في متجرها.

«وقد حضرت لتطلع عليه؟»

أجاب: «شيء من هذا القبيل.»

القت نظرة على لوسي، آملة أن تنجدها، ولكنها كانت مشغولة مع زبونة.

«إنه زي حديث، والآن قد اطلعت عليه بامكانك ان تقدم تقريراً لرجالك.»

لا يهمها رأيه أو رأي رجاله في الزي، ما يهمها الآن هو انصرافه وبأسرع ما ممكن.

«سأفعل، حالما أنهي عملي هنا.» ثم أخرج من جيب سترته شريطاً للقياسات وبدأ بالعمل.

سألته وهي تسير خلفه: «ما الذي تفعله؟»

لم يجب بل بسط خريطة فوق الواجهة الزجاجية الخاصة

بالحلي ثم مال فوقها متفحصاً بعناية خطوطها وأرقامها.

«أتأكد من كون الجدار سهل الهدم قبل احضار فريقي للعمل. من شأن هذه الخريطة منحي الجواب الشافي.»

«هدمه؟ عم تتحدث؟»

«لا تقلقي، لن نستعمل الجرّافات، بل مطرقة عادية فحسب. هذا من اجل تقليل كمية الغبار.»

«غبار؟»

«تريدين انهاء العمل، أليس كذلك؟» سألها ملقياً بمشبك أوراقه فوق الواجهة الزجاجية ما جعل الحلي التي بداخلها في فوضى.

لاحت الحقيقة أمام عينيها. لقد تولى بنفسه عملية التوسيع! ولكم هي بلهاء لأنه فاتها أن تسأل شقيقها عن هذا الموضوع، فهو حتماً مطلع عليه. وجوف يعلم حقيقة شعورها تجاه رويس ورجاله.

رجاله! إنهم الهم الآخر. اقنعت نفسها بأن فريقه الذي سيتولى العمل... لا بد وانه يتحلى بصفات أفضل من صفات ذينك الوغدين.

«ألست مطلعة على الأمر؟» سألها رويس وقد انتبه الى امتقاع وجهها. لقد وافق رويس دون تفكير على هذه العملية، سيما وأن لديه فريقاً من العمال قادر على القيام بمهام ورشتين في وقت واحد.

«فات جوف اطلاعي على هذه المسألة.» قالت مبتسمة بازدراء.

«فهمت.» قال مبتسماً بمكر. هذا ما يفسر دهشتها. ثم حوّل نظره إليها قائلاً: «لا تقلقي، سنقوم معاً باعمال ناجحة.»

عاد رويس بعدها إلى عمله لأنه يحتاج لأخذ قياسات عديدة.

سارت تريشا في أثر رويس، فهي لا تعتبر أن المسألة قد تم البت فيها عند هذا الحد. لقد تولت شركته عملية التوسيع، ولكن تريشا تريد توضيح بعض المسائل. «سيد واكنزي...»

وضع علامة صغيرة على الجدار في المخطوطة ثم دون شيئاً ما في مفكرته قبل ان يحول نظره اليها ليقول: «اسمي رويس، هلا تخلينا عن الكلفة.»

«حسناً، يا رويس. هنالك ما ينبغي أن تعلمه قبل... ماذا تفعل بالجدار؟» سألته وقد راح يضع علامات أخرى.

«تبا!» صرخ وقد أصاب شريط القياسات المرتد إلى مكانه اصبعه.

ثم قال: «هذا الجدار سيهدم، ولن تبدل بضعة علامات على الورق شيئاً من الموضوع.»

عاد إلى الجدار وراح ينقر فوقه وكأنه يبحث عن مدخل فيه لنفق.

سألته: «والآن ماذا تفعل؟»

توقف عن النقر واستدار نحوها ليقول: «أحدد.»

ثم صاح غاضباً: «فلنوضح أمراً ما، أنا بصدد تنفيذ المهمة التي تطلبينها، ولست مستعداً للاجابة على اسئلتك، أنا ورجالي، مفهوم؟»

أجابت تريشا: «مفهوم.» ولكن لا تنسى أنه متجري، وأتوقع أن تحترم أنت ورجالك المكان. فإذا تكلموا مع زبائني اطردهم.»

أعاد شريط القياسات إلى مكانه قائلاً: «أمن شيء آخر تودين قوله؟»

حدقت به تريشا للحظات ثم قالت: «هذا كل شيء.»

انشغلت لوسي بتصحيح وضع واجهة الحلي، فانضمت إليها تريشا.

ثم قالت لها هامسة: «لم تظني أن لهذا الرجل تأثير علي؟ إنه مريع!»

أجابت لوسي متنهدة: «إنه لكذلك!»

مضت تريشا لمساعدة احدى السيدات، انها لم تصل إلى اتفاق نهائي مع رويس، ولكن ما دام سيعمل لديها فقد تكون بينهما ثمة هدنة تدوم حتى انتهاء العمل. لن يكون الأمر سهلاً، ولكنها لن تألو جهداً للامساك بزمام الامور.

سألت السيدة: «أهذا لك؟»

اجابت السيدة وقد شعرت بالخجل: «انجبت طفلي الأول منذ بضعة أشهر، وتمكنت أخيراً من تخفيض وزني. ولكنني عاجزة عن اختيار اللون.»

قالت تريشا لها: «الخمري يناسب بشرتك.»

حملت القطعة لتتمكن السيدة من رؤيتها، فلمحت صورة رويس تنعكس على المرآة، وقد ترك عمله وراح يحدق فيها باهتمام بالغ.

رفعت حاجبيها وسألته بحنق: «هل من مشكلة؟»

أجاب مبتسماً: «لا، أبداً.»

عادت تريشا إلى السيدة قائلة: «هيا إلى المرآة.»

كيف عساها تدير أعمالها بوجود رويس ورجاله حولها؟ إن كان الرئيس عاجزاً عن القيام بعمله فكيف بالحري رجاله.

قررت تريشا التركيز على أوراقها، آملة الانتهاء منها قبل بدء الورشة. كانت لوسي في فترة الغداء ورويس انهى حساباته المعقدة وانصرف، على اية حال، لقد مضت فترة الصباح دون حوادث تذكر بينهما.

إنها تريد المساحة الاضافية، ولكنها ما كانت لتعتمد على رويس ماكنزي لو كان الأمر يعود إليها. والمشكلة الكبرى تكمن في رؤيتها له كل يوم، ولكن هذا لا يعني أن تعجب به.

تعتبر نجاح تجارتها أهم شيء في حياتها، فهي بالنسبة إليها بمثابة تعويض عن الفشل المعنوي الذريع الذي منيت به في صغرها، والذي كاد يقضي عليها. عملها في التجارة لا يعني بالضرورة أنها قد نسيت صدمتها، ولكن الأيام علمتها أن تمضي قدماً تاركة وراءها كل ما من شأنه اعاقة مسيرتها.

وضعت قلمها على المنضدة وراحت تفكر، كانت حياتها سائرة نحو الهدف المنشود، لولا دخول رويس عماله فيها. فتحت الدرج فوجدت فيه تفاحة كانت أحضرتها كغداء لها، لكنها قررت عدم تناولها. أمسكت بقلمها مجدداً محاولة العودة إلى معاملة كانت قد بدأت فيها، ولكن وجود رويس في أفكارها منعها عن ذلك. انها تراه الآن بشكل دائم، وعليها أن تتوصل إلى نوع من هدنة طويلة معه. إنه مجرد رجل مسؤول عن عملية البناء ولا شيء آخر.

«ليست التفاحة بغذاء كامل كما يبدو.»

سمعت احدهم يقول من عند باب المدخل: «لا احتاج لغذاء كامل.» رفعت رأسها لتجد رويس حاملاً رزمتين تفوح منهما رائحة شهية.

ما تحتاجه هو السكينة والهدوء. بعيداً عن رويس ومضايقاته. لا بد أنه انزعج لكونه لم يحظ طوال النهار بفرصة تمكنه من رؤيتها. وكانت هذه حالها، فقد ظلت طوال الوقت تتبع تحركاته من بعيد.

أجاب: «جميعنا نحتاج لغذاء كامل. فمن شأنه منحك القوة البدنية.»

«نعم، ولكن عند فطور الصباح.» قالت مصححة وقد تذكرت أن أمها كانت تصر على تقديم العصير والحبوب الساخنة لها قبل انصرافها إلى المدرسة.

قال مقترباً من منضدتها: «أخبرتني لوسي أنك تلازمين مكتبك. أرى أنها محقة، حسناً، لكن امنحي نفسك بعض الوقت لتناول الطعام.»

همت بالاعتراض وبشكره على مبادرته. ولكنها وبعد أن عرض عليها احدى الرزمتين قارنت رائحتها الشهية برائحة التفاحة فبدلت رأيها قائلة: «يمكنني منح نفسي اجازة قصيرة.»

أمسك رويس بمقعد وجلس إلى جانبها. بعد ذلك، فكرت تريشا أن قبولها دعوته للغداء كان خطأ منها.

تأملت ملياً السلطة التي أحضرها فوجدت أنها متعة للنظر، مهما يكن فهي ستلهيها عن التطلع إلى هذا الرجل.

تحول الغداء إلى لقاء حميم بينهما، فأجبرت نفسها على النظر إلى الصناديق المغلقة لتثبت لنفسها أنها في متجرها وليس في مقهى حيث يناجيها رويس ممسكاً بيدها.

قال رويس: «كنت استعلم عنك من جوف وبتينا منذ عدة اسابيع.»

قالت بارتباك: «حقاً؟ ولم فعلت ذلك؟»

لمح اهتزاز الشوكة في يدها تابع تناول الطعام، ثم أجاب: «لأنني اهتم بأمرك.» وضع مرفقه على المنضدة وانحنى نحوها مضيفاً: «لأنك امرأة جميلة يا تريشا واتمنى توطيد معرفتي بك.»

«لا أظن انها فكرة صائبة.»

«حقاً؟ وما السبب؟»

«سيحتم علينا المشروع ان نلتقي دوماً ولا أنوي افساد العمل بذلك.»

أحس رويس بأنه هناك شيئاً وراء هذا الأمر، وعاوده الاحساس الذي اعتراه في حفل كيفن بأنها تخفي جزءاً مؤلماً من حياتها.

«ليس هذا من رأي بتينا. فهي تظن انني الرجل المناسب لك، وقد شجعتني على التقرب منك.»

لم تشك تريشا للحظة واحدة بأن تكون هذه كلمات بتينا. فزوجة شقيقها لا تتفهم سبب كونها لم تتزوج وتنجب دزينة من الأولاد. بتينا تعلم السبب ولكنها لا تتفهمه وحسب. ليس لدى تريشا أية مشكلة في ما يتعلق بالزواج، ان هي وجدت الرجل الملائم، ولكنها اعتقدت انها وجدته، فضرب وجود ابنه على الوتر الحساس.

«لا أظن انني مستعدة الآن لخوض مناقشة صريحة. وماذا أخبرتك بتينا عني؟»

«فقط أنك وشقيقك نشأتما في جوار غولدن، وتعلمتما في مدرسة في ولاية كولورادو ثم رحلتما إلى نيويورك بحثاً عن المال والشهرة.»

أجابت مصححة: «لتعلم مهنة التجارة من الألف للياء.»

ابتسم قائلاً: «ابتدأت من الصفر، ولكنك وصلت اعلى درجات النجاح. ولكن ما لم تقله بتينا هو السبب من ذلك.»

«سبب ماذا؟»

«سبب نجاحك الساحق.»

اجفلت وقالت: «ربما لأنني من الاشخاص المميزين.»

«ربما.» أجاب، وهو ليس بمقتنع.

«أمعرفتك بشقيقي تعود إلى أمد بعيد؟» سألته وقد أحست بأن الأوان قد حان لتغيير الموضوع. ستكون لها محادثة مطولة مع بتينا لاحقاً.

«التقيت جوف خلال الصيف عندما دخل ابني فريق كرة القدم. كان داني قد حضر للاقامة معي واردته أن يحتك بأطفال في مثل سنه.»

«كان يعيش مع أمه؟»

اوما رويس برأسه بالايجاب. «في شيكاغو. الانتقال كان بمثابة تغيير بالنسبة إليه.»

كاد فضول تريشا يدفعها للاستفسار عن سبب ترك داني مع والدته، ولكنها أحجمت وقد اقنعت نفسها بأن الأمر لا يعنيها.

تحتاج تريشا لمعلومات اضافية ولكن يبدو أن رويس ليس متحمساً للتحدث عن ابنه.

سألته اخيراً: «لم حضر داني إلى هنا... أعني... بدل البقاء في شيكاغو؟»

لم يجد رويس سؤالها مستهجناً على ما يبدو، وجاءت

اجابته طبيعية: «والدة داني طلبت مني أن آخذه ليتسنى لها متابعة عملها الذي يتضمن اسفاراً كثيرة.»

«إذن اقامته ليست دائمة؟»

حرّك رأسه وأجاب: «بل دائمة. لم أرد جعله تائهاً ما بيننا، فاقترحت تولي رعايته ووافقت ايفي على قراري.»

«ولكن داني لا بد أنه مشتاق إليها.»

قال «وهنا تكمن المأساة، فأنا أشعر بأنني اقترفت ذنباً إذ ابقيته معي.»

لم تحر تريشا جواباً وقد شعرت بالأسى على رويس وعلى داني بالاخص. إنها تعرف تماماً بأن تحمل رويس لمسؤولية داني بمفرده، مشكلة لا يستهان بها.

«يبدو أنه استمتع للغاية في الحفلة تلك الليلة.»

ابتسم رويس وأجاب: «داني كان دوماً مثال الفتى النشيط والمميز، وقد تمكن من عقد صداقات عدة، رغم ما يعانيه. ولكن هنالك نوع من الحزن يكسو ملامحه من وقت لآخر... حزن أجهل كنهه، ولكنني أعلم أنه بسبب اشتياقه إلى أمه.» نظر إلى تريشا وأردف: «يخيل إلي أنني والد متوجس بعض الشيء.»

قالت: «لا، ولكنك ملتزم زيادة عن اللزوم، هذا جل ما في الأمر.»

دخلت في هذا الوقت لوسي وقالت: «لقد عدت.» ثم استرقت النظر من وراء الباب. «أوه، عفواً.» لقد رأت تريشا برفقة رويس، فنظرت اليها نظرة ذات معنى، ثم انسحبت. أملت تريشا ألا تعتبر لوسي جلستها مع رويس أكثر من دعوة غداء. حولت انتباهها نحو الحساء ووجدته قد بات

بارداً. أخذت في حديثها مع رويس لدرجة نسيت معها انهاء هذه الوجبة.

سألها رويس: «ما رأيك لو ترافقنا إلى مباراة داني مساء الغد؟ سيكون نجم الساحة ابن شقيقك.»

قطبت تريشا حاجبيها، فابتسم محاولاً تلطيف الاجواء وقال: «سيكون الأمر ممتعاً. سأصطحبك وداني بعدها لتناول البيتزا.»

تابع ممازحاً: «ستكونين بمنأى عن مشاكساتي. ثم أي مرافق أفضل من ابن السبع سنوات؟»

لاحظ أنها قد لانت وهي تقول بصوت هادىء: «لا أستطيع يا رويس.»

«هلا أخبرتني السبب؟»

لم يعتد رويس على مثل هذا الرفض، وكان قد انجذب نحو تريشا منذ النظرة الأولى.

أشاحت تريشا بوجهها تخلصاً من نظراته وقالت: «كما سبق وذكرت، بما أننا سنرى بعضنا البعض لأشهر عدة قادمة، فالأفضل ألا نفسد العمل بأمور شخصية.»

«اقترحت تناول البيتزا فحسب.»

ارتاب رويس في كون تريشا لن تستمتع في سهرتها معه، حتى بوجود داني الذي سيضفي على الجلسة بعض التحفظ، إلا أنه واثق من أن السهرة ستكون ممتعة ومسلية.

اجبرت تريشا نفسها على الابتسام، كانت متحفزة لدرجة استطاعت معها تجنب موقف حرج مماثل، وكانت واثقة أنها لو وافقت على الموعد، فستقحم نفسها في متاعب هي في غنى عنها.

قالت له: «أود ابقاء المسائل على ما هي عليه.» ثم وقفت تلملم بقايا الغداء.

وضع رويس يده فوق يدها قائلاً «يبدو أن أملنا بإقامة صداقة وثيقة شبه معدوم يا عزيزتي. أراك لاحقاً.» ثم انصرف.

بادرت بتينا إلى تشجيع رويس على التقرب من تريشا، دون أن تحسب حساباً لمشاعرها. بأي حق أقدمت بتينا على مبادرتها تلك؟ إنه آخر رجل قد تفكر بصداقته، وعليها اعلام بتينا بالأمر.

لم تكن قادرة على اكمال عملها بعد زيارة رويس، فجمعت أوراقها وقادت سيارتها باتجاه الضاحية التي يقيم فيها جوف وبتينا.

كانت عازمة على تلقين بتينا درساً قاسياً، خاصة وأنها تعلم مدى انزعاج تريشا من النميمة وقد كانت لهما تجربة سابقة جاءت عواقبها وخيمة.

كانت الشمس تنحدر استعداداً للمغيب، قادت تريشا سيارتها بحذر لعلمها بأن الرؤية تسوء في تلك الفترة من النهار.

وصلت منزل شقيقها، وكان كيفن يلعب في الفناء برفقة فتاتين صغيرتين.

تنهدت تريشا وهي تترجل من سيارتها. كانت الفتاتان شقيقتين تفصل بينهما سنوات خمس، شأنها وشقيقتها المتوفاة أليس. فتح المشهد أمام ناظريها باب الذكريات على مصراعيه، المفرحة منها والمؤلمة جداً.

مضى زمن طويل، ذكّرت تريشا نفسها وهي تهم باقفال

باب السيارة. ما ان استدارت حتى وقع نظرها على الشقيقة الصغرى وقد جرت نحو الشارع لاهية، ضاحكة. تسمرت تريشا في مكانها، وكان تيار كهربائي قد صعقها.

«أليس، لا.» انطلقت صرخة مكتومة من أعماق ذكرياتها، ولكنها ظلت حبيسة في حلقها ومنعها الخوف من الانطلاق.

«جسي، تعالي إلى هنا!»

سمعت تريشا كلمات شقيقة جسي التحذيرية، ثم رأتها تعود لتنضم إلى شقيقتها، وعندها فقط استعادت تريشا انفاسها.

لم تحصل كارثة كتلك التي وقعت ذلك اليوم، ولا داع لايقاظ صدمتها ومخاوفها القديمة. ازدردت بصعوبة ثم سارت نحو المدخل، وسرعان ما توقفت إذ فوجئت بزوجة شقيقها جالسة أمام الباب تراقبها بدقة، وكأنها قرأت ما كان يجول في خلدها.

الفصل الرابع

«ألا تعتقدين انه آن الأوان لتنسي الماضي؟» قالت بتينا وهي تسكب لها فنجاناً من الشاي.

التقطت تريشا الفنجان آملة أن تزيل حرارته برودة يديها.

جلست بتينا قبالتها وقالت برقة: «أعرف انك أحببت شقيقتك جداً، وانك تلومين نفسك لموتها، ولكنك كنت يومها صغيرة جداً. اجتازت أليس الشارع بسرعة، لم يكن بوسعك انقاذها. ما كان أحد قادر على ذلك، عليك أخذ هذا بعين الاعتبار.»

«علي أخذ هذا بعين الاعتبار!» أرجعت تريشا مقعدها وراحت تتمشى. بدا لها المطبخ لأول مرة ضيقاً: «يعاودني هذا في الأحلام، دوماً تلك السيارة وهي تدهس أليس، وأنا مسمرة في مكاني، لا أقوى على انتشالها، أحاول جعله يأتي مغايراً، ولكنه دوماً هو نفسه.»

استدارت نحو بتينا ورفعت يدها بحركة اظهرت الدموع التي انسابت فوق خديها: «كان يفترض بي مراقبتها. كانت مسؤوليتي ذاك اليوم وقد... تركتها تموت.»

أجابت بتينا بغضب: «لم تقدمي على ذلك. كنت أكبر من أليس بقليل، وبرأيي كنت صغيرة جداً على تحمل مثل هذه المسؤولية.»

أجابت تريشا: «ولا أنوي تحمل مثلها مجدداً. تعلمين ذلك. بتينا كيف عساك تشجعين رويس على إقامة صداقة بيننا؟»

www.elromancia.com

لمست بتينا الملعقة التي بيدها ثم نظرت إلى تريشا، وأجابت: «لأنني أحبك، وأعلم انك أضعت السنين الطوال على مأساة حدثت منذ أمد بعيد.»

يصعب على المرء الاحتفاظ بهدوء اعصابه مع بتينا ولكن تريشا قررت ان تفهمها: «لا أحتاج للعيش مثلك كي أكون سعيدة. متجري يملأ وقتي وسأكون مشغولة أكثر بعد توسيعه. لذا، كما ترين يا بتينا فلا وقت لدي للتعرف على احد.» فتحت بتينا فمها لتكمل، ولكن دخول كيفن للمطبخ مع والده قطع المناقشة.

سألا: «ماذا يوجد للعشاء؟»

أعلنت بتينا: «الأومليت.» فتهلل وجه كيفن وازداد حماسه عندما أضافت أمه: «لعمة تريش باقية للعشاء.»

أخذت تريشا تساعد في إعداد المائدة، فيما راح كيفن يتحدث عن مباراة قادمة بحماس، أما جوف فتكلم عن يومه، بينما حاولت طرد مناقشتها مع بتينا من أفكارها. خامرها شك بأن تتمكن من ثني رويس عما اعتزمه بسهولة، فلقد احتل أفكارها، وسيحتل أيامها بتردده المستمر على متجرها.

• • •

انتزع ورق الجدران الفاخر، وحل مكانه قطعة من البلاستيك وضعت كحد فاصل ما بين المتجر والمساحة المضافة إليه. أقنعت تريشا نفسها بأن هذه ضريبة النجاح ولكنها تكره الفوضى. لكم تتوق لإعادة تنظيم حياتها.

كان رجال رويس يعملون بهدوء خلال اليومين

المنصرمين وقد اصيبت تريشا بصداع مؤلم بسبب صوت المطارق المتواصل، فركت جبينها بلطف. علبة اسبيرين وسدادتان للأذنين سيكونان الدواء لحالتها، هذا بالإضافة إلى أعصاب فولاذية.

بالإضافة إلى الفوضى، كان الناس يدخلون وقد سبقهم فضولهم ليعرفوا ما يجري داخل المتجر، دخل رويس للحظات فأملى أوامره على العمال، ثم عاد إلى ورشته.

كان يفترض بتريشا أن تكون مسرورة لعدم تواجده المستمر، لكن شيئاً من هذا لم يحدث.

تنهدت وحاولت التركيز على لائحة أسعار البضائع التي وصلت بالأمس، ولكن استحال عليها ذلك مع الجلبة القائمة. كانت لوسي منشغلة مع فتاة يبدو عليها الثراء.

«لوسي، اعرضي لها السترة القرمزية القريبة من الواجهة.» اقترحت تريشا بعدما رأت الزبونة تحدق فيها بإعجاب: «قد تكون رائعة مع...»

توقفت فجأة وقد استرعى انتباهها القبعة الصفراء المتدلية من المشجب الذي علقت عليه السترة. صاحب القبعة كان يقف بجانب المشجب وقد سمعت الرجال ينادونه ويزل، قد يكون هذا اسمه أو لقبه لا يهمها ان تعلم. وضعت اللائحة جانباً ودنت من الرجل قائلة: «ليس هذا بمشجب للقبعات.» ثم دنت لتنتزع القبعة من مكانها وتقذفها بوجهه.

تململ ويزل وقال: «آسف يا سيدتي.» ثم وضع القبعة فوق رأسه وانسحب.

أين كان رويس ساعة احتاجته؟

تأوهت تريشا ومضت تستطلع أضرار السترات.

كيف عساها ستمضي الاسابيع القادمة؟ عادت إلى أوراقها وقد ارتاحت عندما وجدت البضاعة سالمة.

تفاقم صداعها بعد الظهر. وازداد اقتناعها بأن شهراً في الريف سيؤمن شفاءها التام.

يجب أن تبقى متيقظة لتراقب تصرفات ويزل ورفاقه الذين يهددون سكينتها. طلب أحدهم موعداً من لوسي ولكنها ردته على اعقابه بأسلوبها الفريد.

بعد استراحة قصيرة عادة تريشا إلى العمل، آملة أن ينتهي ذلك النهار على خير.

فوبي كرابتري، احدى افضل الزبائن. كانت تقف حاملة ثوباً زهري اللون.

«احتاج لرداء ارتديه في زفاف ابنة شقيقي الاسبوع القادم.»

قالت فيما كانت تريشا تقترب منها: «يعجبني هذا الرداء ولكن سأبدو كالمزهرية، ما رأيك؟»

أجابت تريشا: «أظنه يليق بك جداً.»

لم تقتنع فوبي، زمت بشفتيها والتقطت رداء آخر قائلة: «قد يكون ذلك الأزرق أفضل!»

«أحب الأزرق.»

جاء الصوت من خلف تريشا، فالتفتت، ورأت ويزل يحدق بالسيدة كرابتري.

استشاطت تريشا غضباً وصرخت: «ألا عمل لديك لتقوم به؟»

حرك ويزل كتفيه دون مبالاة ومضى.

استدارت ليقع نظرها على السيدة وهي تنظر إليه بخوف.

علقت فوبي: «أظنه رأي رجل فحسب.»

وهو ما لا يمكن الركون إليه، نظراً لمصدره، فكرت تريشا. ثم قالت: «لما لا تجربين الثوبين؟»

«قلت لك الأزرق أفضل.» علق ويزل وهو منحن فوق واجهة المجوهرات باحثاً عن موضع لآلته الكهربائية.

«تحتاجين إلى هذا ايضاً.» قال ممسكاً بعقد سحبه من الواجهة، عقد لا يلائم الثوب بأي شكل من الاشكال.

«هذا يكفي.» زمجرت تريشا وقد نفذ صبرها. «عد إلى عملك وبسرعة.»

التفتت من ثم نحو لوسي التي شهدت الحوار لتقول: «هلا ساعدت السيدة بانتقاء ثوب؟»

«طبعاً.» أجابت لوسي وانضمت إلى السيدة التي راحت تسلي نفسها بلوائح المبيعات.

خرجت تريشا من المتجر وقد صممت على تسوية المسألة مع رويس نهائياً.

القت نظرة سريعة نحو الورشة علها تجده.

يجب ان تجده لتنقذ مؤسستها قبل فقدان الزبائن كلهم.

ما زالت تعابير وجه السيدة كرابتري الخائفة، ماثلة أمام عينيها وقد لوح لها ويزل بالعقد بيده.

كان يفترض بها أن تطلب إلى لوسي منحها تخفيضاً بنسبة خمسين بالمئة وذلك تهدئة لخاطرها، وقررت أنها ستفعل ذلك فيما لو عادت إلى المتجر ووجدتها ما زالت فيه.

كان العمال منهمكون بأعمالهم فوق، وبما فيهم الاثنين اللذين كانا يعلقان بكلماتهم السخيفة في وقت سابق.

لم تعد تدري من هو الاسوأ: ويزل أم هذين الرجلين. مرت بمجموعة من العمال ينقلون أعمدة فولاذية لزملائهم، حاولت العثور على رويس فيما بينهم ولكنها منيت بالخيبة.

كان باب القاطرة موصداً، لا بد أنه في الداخل فكرت وهي متجهة نحوه.

انغرز كعبي حذائها في الأرض، فكرت أن تحمّل رويس نفقة تصليحهما بالاضافة إلى خسائرها الاخرى.

قرعت الباب وانتظرت للحظات قليلة، ولما لم تحظ بالجواب، مدت يدها لتفتحه وكذلك فعل رويس من الداخل.

قال في الحال: «لكم يسرني أنك متشوقة لرؤيتي. ولكن علينا ألا نلتقي هكذا بعد الآن.»

كان رويس يأمل أن تكون هذه الثورة سببها اشتياقها إليه.

كان يفكر بها وظهرت امامه فجأة، حاولت أن تتكلم.

«سيد ماكنزي.»

قال وقد اتسعت ابتسامة: «رويس.»

أجابت بحدة: «لا شأن للأسماء بالامر. إنها أعمال... أعمال انتهينا منها أظن.»

رفع حاجبيه مندهشاً وقال: «اعمال؟ وأنا الذي ظننت أنك اتيت من أجلي؟»

«أنت! لقد جئت لأكلمك عن تصرفات رجالك.»

«لا تقولي أنهم يقولون اشياء ثانية؟»

«بل اسوأ. بل باتوا يعطون زبائني النصائح في الازياء، وأريد أن يتوقف هذا. لدي مؤسسة محترمة وان استمر الأمر على هذا المنوال فقدت كل زبائني.»

سألها: «الديك بعض الوقت؟»

«لماذا؟» سألت تريشا رويس وهي تنظر بحرص إلى الخريطة، لكم يبدو رئيساً ناجحاً اليوم بالملابس التي يرتديها.

«أود محادثتك بشأن حجم غرف القياسات الجديدة.»

«أريد مساحتها واسعة.»

«عملية البناء تتم بشكل محدّد اكثر.» أجاب وقد رفع حاجبيه.

اطلت عندها امرأة لتقول: «تريشا، هل أحضرت هذا في اثني عشر، أوه...» ثم توقفت وقد لمحت رويس.

«يا...» تمتمت شيئاً آخر، لم تستطع تريشا تبينه.

استدارت نحو رويس لتجده مبتسماً وهو يقول: «يبدو أنك مشغولة سوف أعود لاحقاً.»

قالت تريشا وقد تجهم وجهها: «أخشى ألا نستطيع شيئاً لاحقاً، لأن لوسي ستتغيب بعد الظهر وسأضطر لأن أقوم بمهامها.»

«إذن، سأمر ليلاً بعد أن تقفلي المتجر. سنناقش أمور العمل على العشاء معاً.» قال هذا ومضى سريعاً لدرجة لم تتمكن من ابلاغه رفضها.

• • •

سألت تريشا: «أين تصاميم غرف القياسات التي تود مناقشتها؟»

لم يأت رويس على ذكر الاعمال منذ مر عليها لاصطحابها، وباتت ترتاب في كونها قد غدرت بهذه

الدعوة، كان مجرد عشاء، لكنها شغلت تريشا نفسها بتقييم المكان.

«يمكننا مناقشة التصاميم لاحقاً.» قال رويس مبتسماً لمراضاتها ولكنها ظلت على موقفها.

سألته بحدة: «ما المشكلة؟»

أجاب وقد تقلصت ابتسامته: «سيفسد هذا طعامي.»

نظرت تريشا حولها فلمحت النادل يقترب منها ليسجل طلباتهما، رشفت قليلاً من العصير ثم قررت أن تستمتع قدر استطاعتها.

«ما رأيك بالمطعم؟» سألها رويس وهو يأخذ القليل من الكريمة.

«اكتشفته بعد انتقالي إلى دنفر بوقت وجيز.»

«إذن، أنت لست من هنا؟» سألته وقد فوجئت بعد ذلك برده.

«أنا من فيلادلفيا اصلاً، تلقيت علومي في شيكاغو، ثم أتيت إلى هنا للعمل.»

راح رويس يخبرها عن مشاريعه ووجدت نفسها مصغية باهتمام كلي. أخبرها من ثم إنه قصد المدينة ومعارفه فيها لا يتعدوا اصابع اليد الواحدة، ولكنه نجح مع ذلك باثبات قدراته. هذه على الأقل ميزة تقرّ بها لهذا الرجل، فلقد كانت هي أيضاً مليئة بالحماس عينه عندما بدأت عملها في التجارة... وما زالت.

تحادثا بصراحة وشعرت تريشا أنها مستمتعة حقاً. ثم وصل بهما الأمر إلى سوء التفاهم الذي يباعد ما بينهما، وراحت تصرح بالتصرفات التي قام بها ويزل في متجرها.

«عليك الاقرار بأن الأمر أشبه بوضع ثعلب في قن الدجاج، وعليك ألا تتوقعي أن تضعي ثلاثة رجال في متجر للسيدات دون حدوث اية مشاكل.»

سألته غاضبة: «اتقارن سيداتي بالدجاج؟»

أجاب بسرعة: «لا تنسي أنني اقارن رجالي بالثعالب. اقدم اعتذاري، فلا تغضبي.»

انقذ الموقف النادل وقد أحضر الفاكهة. شعرت تريشا أنها لن تتمكن من تناول أي شيء، ولكنها عادت وقررت أن تتذوق حلوى الشوكولاتة لأنها تبدو لذيذة.

قادت الاحاديث رويس إلى الاعمال مجدداً، فأخبرها عن تطلعاته فيما يخص البناء، وكيف أنه ينوي توسيع مشاريعه.

راحت تريشا تربط فيما بينهما وهو يتحدث مسهباً، هي أيضاً مثله سعت وراء احلامها، وبالرغم مما يقوله ذووها بأنها ضحت بحياتها الشخصية من أجل عملها، فهي مقتنعة بأنها لم تضحي بشيء. إنها سعيدة بما هي عليه، وهذا ما لا يرضي جوف وبتينا ومرده حسب رأيها، الاختلاف في طريقة العيش.

قال رويس: «يسهل التحدث معك. أجدني أسر لك باخباري كلها، وهو ما لم أعتده سابقاً.»

كان هذا شأن تريشا أيضاً، فقد شعرت أنها تتعامل مع رويس على سجيتها، الأمر الذي افتقدته منذ أمد بعيد.

«أتودين أن ترقصي؟»

سألته باندهاش: «ارقص؟ أظننا جئنا لنناقش موضوع غرف القياسات.»

«سنفعل، التصاميم في السيارة.»

اجابت بحدة: «جئت لأجل العمل. ولكنك نسيت ذلك على ما يبدو.»

«يبدو ذلك.»

«اشعر انك لا تهتم مطلقاً بغرف القياسات.»

«حقاً؟»

«جداً.»

ابتسم لها وقال: «سنعمل على هذا.»

«على ماذا؟

«على انطباعك السيء عني.»

كانت الموسيقى تعزف في هذه الاثناء ولكن تريشا رمقته بنظرة حادة، وقالت «إن كنت تحمل تلك التصاميم فأقترح أن تجعلها على نمط برونتو.»

الفصل الخامس

كان يوماً رائعاً. الشمس ترسل أشعتها الذهبية عبر الواجهة الزجاجية وقد البست تريشا العارضة زياً لما بعد التزلج. لم تستخدم الكثير من الملابس الخاصة لمثل هذه المناسبة، وإن كانت الواجهة تتسع للكثير منها. كانت قد أجلت القيام بهذه الأمور لهذا اليوم علماً منها أنه سيكون هادئاً.

استكملت الزي بلف منديل حريري حول عنق العارضة على طريقة الطيارين. لم يحضر العمال اليوم إلى المتجر ولا إلى الورشة أيضاً، فارتاحت لكونها بمنأى عن تعليقاتهم السخيفة.

«أليس كل هذا رائعاً!» هتفت لوسي وهي تجوب المتجر بهدوء وحرية.

ابتسمت تريشا لكونها تدرك مشاعر لوسي تماماً، فهذه الوحدة بعد اسبوع مضن لا تقدر بثمن. «يمكنني حتى احتمال لوح البلاستيك المقيت الذي يفصل الغرفة.»

اليوم أيضاً ارتاحت من نبضات قلبها السريعة وقد غاب رويس، إنها اليوم تتحكم بأحاسيسها تماماً.

قرع الباب معلناً وصول احدى السيدات، رفعت تريشا رأسها من خلال أوراقها متأهبة للترحيب. اضطرت لخفض نظرها إذ كان من دخل صبي صغير جداً، وقبل أن تحاول ارساله إلى متجر بوب للالعاب عرفته، بل وعرفت والده الذي كان بصحبته.

www.liilas-romancia.com

إنه داني برفقة رويس، وفكرت كيف أنه فاتها أن تلاحظ مدى الشبه بينهما خلال حفل ابن شقيقها. بالرغم من أن شعر رويس يعتبر داكناً بالنسبة إلى شعر داني، ولكنهما يملكان نفس العينين الخضراوين والفك البارز.

كادت تضحك وهي ترى داني يحاول تقليد حركات والده، وكان الجينز الذي يرتديه يبدو جديداً وكأنه ابتاعه خصيصاً لليوم الأول من الدراسة، كما وسترته الزرقاء الواسعة تبدو جديدة أيضاً.

قالت مبتسمة: «هل من خدمة أؤديها لكما، أيها السادة؟»

اتكأ رويس على الواجهة الزجاجية، فتبعه داني ليقف قربه. «لست سيداً، بل صبي صغير.» قال داني معتبراً أنها نقطة ينبغي ايضاحها ثم تابع: «لكن والدي هو كذلك.»

رفعت تريشا حاجبها وابتسمت لرويس وهي مرتابة.

اجابت: «حسناً، سوف تصبح سيداً ذات يوم.»

ضحك داني ثم خيم صمت ثقيل، وعمدت تريشا إلى اعادة ترتيب اوراقها.

هي لا تجيد محادثة الاولاد اصلاً، ووجود رويس يزيد من ارتباكها. ضف إلى ذلك أنهما افترقا بالامس بجفاء وبرودة.

سألته:

«ماذا تفعل هنا في يوم عطلتك؟»

نظر رويس إلى داني، وابتسما معاً ابتسامة تنم عن تحفزهما للقيام بمغامرة ما، وقال: «أراد داني أن يرى مكان عملي.»

طبعاً، فكرت تريشا. لو كانت تملك أية خبرة في التعامل مع الاطفال، لكانت أدركت ذلك.

«بما أنك تريه المكان، فقد يسر بمشاهدة متجر بوب، لديه كل أنواع الالعاب.»

اجاب رويس على الفور:

«ننوي القيام بذلك. أما الآن فلدينا عمل لنقوم به هنا.»

«هنا؟»

«داني، هلا أخبرت السيدة وينرايت عن سبب حضورك؟»

نظر داني إليها وقد احمرت وجنتيه: «اود ابتياع هدية لأمي، ذكرى مولدها الاسبوع القادم.»

«فهمت.» قالت تريشا وقد القت نظرة ملؤها الدهشة على رويس.

قال موضحاً: «متجرك يلقى الرواج، يقول كيفن انه يبتاع حاجيات أمه من عندكم.»

هذا صحيح. جوف وكيفن يبتاعان هدايا بتينا من متجرها. التفت حول الواجهة، ثم انحنت نحو داني لتهبه أجمل ابتساماتها: «إن كنت توافق على مناداتي تريشا، فربما نقوم معاً بجولة لانتقاء شيء لأمك.»

طأطأ داني برأسه موافقاً.

أمسكت بيده، فيما لازم رويس مكانه يراقب بصمت.

احتارت في ايجاد معنى لنظراته الفاحصة اليها، وهذا ما جعل نبضات قلبها تعود إلى سابق عهدها، أخذت تفكر بحثاً عن وسيلة تخولها تكليف لوسي بهذه المهمة. لم تهتد الى فكرة واحدة، لأنها كانت في أعماقها عازمة على مساعدة

داني دون أن تدري سبباً لذلك. ربما كان السبب تلك النظرة البريئة التي لمحتها في عينيه.

أو ربما يعود السبب لكونها تذكرت كيف أنها كانت تسعى وهي طفلة لاسعاد قريب لها، قريب غائب.

هزت كيانها الذكرى المؤلمة، بطاقات الاعياد التي كانت تتمنى ارسالها لوالدها في كل مناسبة، لم يتمكن من تلقيها لأنه كان قد توفي بعد وفاة اليس.

أبعدت الذكرى عن رأسها، الأمر مختلف تماماً مع داني، فأمه ما زالت على قيد الحياة، قد لا تكون في دنفر ولكنها... على قيد الحياة. رويس يعلم حتماً مكانها وسيتدبر أمر ايصال هدية ابنه اليها.

قالت وهي تجوب معه في المتجر: «أظنني أعرف ما تحبه السيدات.»

«ما هو لونها المفضل؟»

«الأحمر.»

«وأنا أيضاً، ما رأيك بمنديل جميل؟» قالت وهي تبسط قطعة من القماش الأحمر وتركته يتحسسها بأنامله.

«أو هذه ربما.» قالت وهي تعرض عليه قلادة من الذهب.

راح داني ينقّل النظر بين الاثنين، أما تريشا فقد كانت متأكدة من ان هذه العملية لن تكون سهلة. نظر حوله ثم تفرس ملياً بقفازين من الجلد الاحمر: «كم ثمنها؟» سألها بخفة.

«دعني اتحقق من ذلك.» قالت وهي تدرك أن الثمن يفوق ميزانية طفل ولكنها مستعدة لبعض التخفيض.

قال داني: «ستقضي فصل الشتاء في انكلترا. إنها منطقة باردة وقد تحتاج لمثل هذه الهدية.»

«انكلترا؟ حسناً، إنه لخيار صائب وكنت بصدد وضعهما في لائحة التنزيلات.»

رأى رويس المشهد، إنها طيبة حقاً ولكنه لن يدعها مطلقاً تخفض سعر القفازين. يبدو أنها قد أحبت داني، الأمر الذي يسعده للغاية.

طلب داني من والده ان يسمح له بشراء الهدية من ماله الخاص ولكن الأمر يحتاج للمزيد. «بوسعي أن اقرضك ملبغاً صغيراً يا بني.» قال رويس ذلك وقد رأى حيرة ابنه.

لم يجب داني بل أخرج محفظته. «كم؟» سأل تريشا مقلداً والده وهو ينشر أمامها الاوراق النقدية. سحبت المال من يده بخفة وقالت «سأكتفي بهذا المبلغ مع الضريبة.»

سلمت القفازين للوسي لتلفهما بورق للهدايا، بينما اخذ رويس يجوب المكان على مهل يتأمل البضاعة المعروضة.

أخفت تريشا ابتسامتها وهرعت لنجدته.

فقال لها: «ما فعلته رائع، ولكن لم يجدر بك القيام بذلك.»

أجابت تريشا وهي تعيد قارورة العطر التي كان يتلهى بها إلى مكانها: «لم أقم بذلك لابدو طيبة.»

«لماذا، إذن؟»

«يبدو أنه... مشتاق لأمه.»

لم يتمكن رويس انكار ذلك، فقال: «أحاول قدر المستطاع اضحاكه كي لا يشعر...»

«بأن أمه قد تخلت عنه؟» خرجت الكلمات من فم تريشا رغماً عنها، لم تقصد أن تحاكم المرأة. إنها تدرك جيداً ما يعاني منه داني، فقد شعرت بابتسامته الحائرة ونظرته المرتبكة، وكلها أمور لا تخفى عليها البتة.

فقدان الآباء أمر عانته وما زالت تعاني منه.

أجاب وقد فوجىء بنباهتها: «أجل، لم يقل شيئاً، ولكنني أعرف جيداً...»

توقف فجأة وقد دنا منه داني، ممسكاً بهديته وكأنها جائزة. راحت ترقب باهتمام حساسية رويس تجاه ابنه ومخاوفه. ذلك الرجل الشديد البأس لديه نقطة ضعف. إنه يحب داني، وهذا أمر محتم.

«جاهز يا بني؟ علينا الاسراع أن كنا سنزور كل الأماكن التي خططنا لها.»

«والدي سيريني المصعد... مصعد الورشة.»

قالت تريشا متظاهرة بالفرح: «يا سلام! وماذا في مفكرتك أيضاً؟»

أمسك داني بمفكرته وتابع: «حديقة الحيوانات، متحف الشمع، المنجم، وهو المكان الذي تجنى منه الأموال.»

«فهمت، ستقوم بكل ذلك اليوم؟» ليست خبيرة بشؤون الاطفال، ولكن عبارتها جاءت ملفتة بالنسبة لطفل في سنه.

«كل هذا، بالاضافة إلى تناول طعام الغداء في القناطر الذهبية.» أضاف رويس مبتسماً وكأنه يشجعها على مرافقتهما. إنه يمضي أوقاتاً طويلة مع ابنه، إنما هذا لا يعني ادخال امرأة جديدة في حياتهما. تريشا لن توافق، هو يعلم أنها ليست معجبة به.

انصرف رويس وابنه بعد أن شكرا تريشا وودعاها.

همس داني قبل أن يغادرا المتجر: «إنها تعجبني، فهي لطيفة يا والدي.»

ثم أضاف: «وجميلة أيضاً، هل لديها أطفال؟»

فتح رويس الباب والقى نظرة أخيرة على تريشا ليرى على ملامح وجهها تعابير غريبة.

• • •

«متى يسعك تسليمي الطلبية؟» قالت تريشا لمحدثها عبر الهاتف. «أجل، هنالك ضجة هنا. لا، لا أنوي اقفال المتجر. الجمعة؟ حسناً، شكراً. قلت شكراً، إلى اللقاء.»

أعادت سماعة الهاتف الى مكانها مفكرة انه ومع مجيء الليل سيصبح صوتها اجشاً وذلك لمحاولتها طوال النهار التكلم بصوت عال بسبب الضجيج. لكم تتوق لقضاء يوم سبت هادىء، فقد كادت تنسى طعم الراحة منذ عاد العمال.

فكرت باغلاق المتجر لاسبوع أو اثنين، أو أقله لحين الانتهاء من الاعمال الكبيرة. هناك سيدة! تذكرت أن لديها واحدة في غرفة القياسات، قبل أن ينادوها لترد على الهاتف. قالت لها عندما اقتربت منها: «كيف تسير الاحوال؟»

«ربما يجدر بي أن أجرب قياساً آخر.» اقترحت الزبونة، وهي امرأة شقراء كانت قد صففت شعرها بطريقة جميلة.

«أكبر أم أصغر؟» رفعت تريشا صوتها كي تسمعها المرأة، ولكن الضجيج كان قد توقف فجأة، فجاء صوتها زعيقاً خلال الصمت الذي تلا ذلك.

«آسفة.» اسرعت تقول بصوت منخفض، فذهب اعتذارها هباء لأن الضجيج عاد لحظتها إلى سابق عهده.

مضت بحثاً عن القياس الملائم للسيدة، وهي تتساءل إن كان يومها سيجلب لها المزيد من المتاعب.

«أنت تعظمين الامور، ربما. لم يدخل رجالي إلى المدارس الراقية.»

«لست أعظم الأمور.» لم تصدق اذنيها، يبدو أنه إلى جانبهم حسناً، لن تغادر المكان إلا وهي راضية.

«لرجالك مهام يقومون بها، وليدعوني أقوم بمهامي.»

كان رويس يأخذ كلامها بعين الاعتبار، فهو يعلم بأن رجاله غير متعلمين، أما بالنسبة للعمل، فهم أفضل فريق في العالم.

وسيقومون أقله بعمل متقن في متجر تريشا.

شغله عمله عن مراقبة رجاله وما يقومون به في متجرها، إنها مسؤوليته التي أرلته اياها وفي حال لخطئوا عليه التصرف بنفسه. يعلم جيداً أن رجاله يهوون معاكسة النساء، ولكنه يثق في أمر تماديهم لدرجة أن يتدخلوا في شؤون الازياء.

هنالك ما يغضب تريشا، هذا مسلم به. تساءل رويس إن كانت تدري كم تبدو فاتنة وقد صبغت حمرة الخجل وجنتيها، وبدت عيناها بلون الشفق. عليه ان لا يفكر بها فقد تصيبه بالجنون.

قال: «حسناً. سأذهب إليهم متى انهيت عملي.»

«ستكلمهم اذن؟» أجابت تريشا بذلك متأملة ان تنجح مساعيها اخيراً.

«سأعمل معهم لبضعة أيام، من شأن ذلك ان يبقيهم منضبطين.»

• • •

تجهل تريشا ما سيفعله رويس لتسوية هذا الوضع، فقد امضى فترة بعد ظهر أمس واليوم بطوله في المتجر يعمل

مع رجاله. نالت ما يكفيها من المتاعب مع كل هذه الفوضى والجلبة حولها.

ما اساء الأمور اكثر، هو أن تصرف الرجال بات افضل، وفيما يختص بويزل، فقد خرس منذ وصول رئيسه، كانوا جميعهم مثال الأدب واللياقة. وقد شعرت بالغضب الشديد إذ اضطرت لجمع تلك المسامير التي كانوا يستخدمونها في عملهم.

أشاحت ببصرها عن رويس وعادت إلى الزبونة، ولكن هذه الاخيرة كانت تنظر الى رويس باعجاب شديد.

اعقبت تريشا: «انه لن يبقى كذلك بصورة مستديمة سيدة غرانت.»

لا بد أن الأمور تسوء، سيما وأن سيدة محترمة كالسيدة غرانت معجبة ببرويس.

«لا بد أنك تودين تجربة تلك التنورة.» اقترحت تريشا محاولة جذب انتباه المرأة. ثم تابعت تقول: «ان كان طولها غير مناسب فلدينا موظفة ماهرة للتصليحات.»

تنهدت السيدة غرانت بأسى وتناولت التنورة لتتوجه نحو غرفة القياسات.

قالت لوسي: «ان هذا الجو يصلح للعمل جداً. تصوري، المتجر كان يغص بالزبائن طوال فترة الصباح.»

«السبب يعود للتخفيضات.» قالت تريشا باحترام رافضة الاقرار بفضل رويس في ارتفاع نسبة المبيعات التي لاحظتها هي أيضاً.

رفضت أيضاً الاقرار بأنه سبب الخفقان الذي يتزايد في قلبها، وقد رأته بطرف عينها. وضعت اللوم على الارهاق

الذي تسببت به الفوضى القائمة، وأيضاً على ما حصل بالأمس مع ويزل.

على أية حال، لديها مهام لتنجزها وهي تعتبرها هامة كفرز هذه الاحزمة مثلاً.

تحتاج لتوضيب البضائع الجديدة، وهذا هو الوقت المناسب لذلك. الاسود مع الاسود، الاحمر مع الاحمر، الضيق مع الضيق.

أخذ العمل من انتباه تريشا لدرجة لم تلحظ وجود رويس وراءها. فاضطر أن يربت فوق كتفها للفت انتباهها.

التفتت وقد فوجئت، فتساقطت الاحزمة التي كانت تحملها على الأرض.

«آسف لجعلك تجفلين.» قال منحنياً لالتقاط ما أوقعته.

قالت: «دعني اساعدك.» وراحت تلتقط بأناملها الرشيقة الاحزمة.

بعد ان انتهيا من التقاط الاحزمة ووضعها فوق الطاولة، قال: «اظننا بحاجة لاجراء مناقشة يا سيدة وينرايت.»

لم ترتح تريشا لنبرة صوته فقد جاءت مستبدة.

اصطحبته إلى غرفة مكتبها، فيما كانت لوسي في قسم المبيعات.

عندما دخلا وجلست وراء منضدتها، قالت: «هيا، كلي آذان صاغية.»

اجاب: «الامر يتعلق بشكواك.»

تساءلت بنبرة مدافعة: «ماذا بشأنها؟»

«حاولت تقييم تصرفات رجالي والعمل الذي ينجزونه، وإني لأتساءل عن سبب مشكلتك.»

قالت بحدة: «مشكلتي؟ إنها مشكلتهم، فهم الذين يزعجون الزبائن عندي. إنما بوجود رئيسهم توقفوا عن تصرفاتهم تلك، هل حدثتهم أو سألتهم عما اقترفوه خلال الايام المنصرمة؟»

أجابت: «لست من النوع الذي يتهم الناس جذافاً.»

من المؤكد أن تريشا لا تقر بنبله، سيما وان كان الأمر عائداً إليها.

ثم تابع: «ولكنني أجريت محادثة ودية واياهم، كما اقترحت، أخبرتهم بأن متجرك هذا تؤمه النساء، وعليهم مراقبة تصرفاتهم. لا يسعني شيئاً أكثر من ذلك ما لم...»

قالت متحفزة: «ما لم؟»

«ما لم تسمحي لي بالبقاء في متجرك. بوسعي اتمام اعمالي في الورشة من هنا.»

«لا داع لذلك.» أجابت سريعاً. ستتكفل بنفسها برجاله، وهذا ما كان عليها القيام به منذ البداية.

الفصل السادس

سكب القمر نوره فوق شعرها وقد احنت رأسها اذ القى رويس الخريطة بين يديها.

كانت الاضاءة في موقف المطعم خافتة تبعثها بحياء بضعة اضواء ملونة صغيرة، وتمكنت تريشا من رفض دعوته لها لمتابعة الحديث في مقصورته، ثم قالت: «اذن قررت جعل غرف القياسات هنا، يمكنني التأقلم بهذا التعديل.»

«ماذا بعد؟»

سألته وهي تنقر باصبعها على الخريطة.

«هذا كل شيء» اجاب سريعاً وهو ينتشل التصاميم من يدها ليلفها، كان ينتظر انفجار غضبها: «واحد، اثنان، ثلاثة...»

«رويس ماكنزي، دعوتني للعشاء بحجة مناقشة التعديلات في حين كان بامكانك مناقشتها في لقاء سريع.»

«النساء اللواتي مثلك يحتجن لاكثر من لقاء سريع.»

«الرجال الذين مثلك يجيدون اقتناص الفرص.»

اجاب متجهماً:

«لم ادع انني مثالي.»

«لا، بل مجرد فتى كشاف.»

اجاب: «اما بشأن قصة الكشاف...»

«لم تكن فتى كشاف؟»

اجفل قائلاً: «كنت اكره الرحلات إلى الحقول.» ثم رمى بالتصاميم وراء المقعد، وقاد السيارة باتجاه المدخل، لم يتوقع ان يلقى منها تجاوباً فيما يختص بالدعوة إلى مطعم بارني.

نظر اليها فوجد وجهها يحتقن من الغضب، مما يدل على تحفزها لفتح الموضوع مجدداً.

وصلا المتجر حيث كانت سيارة تريشا متوقفة.

استدار نحوها يحدوه الأمل بالتوصل إلى تبديل بمزاجها السيء. سمع فجأة ضحكة مكتومة سرعان ما تحولت قهقهة عالية، وفي لحظة غرقا معاً في الضحك.

سألها: «ما عدت غاضبة؟»

«بل ثائرة.»

«لكنك سخرت مني.»

سرّه ان يسمع ضحكتها، اذ كانت تسري في اعماقه كالموسيقى. ربما كان مراوغاً ولكن عشاء العمل كان الوسيلة المناسبة للتقرب منها.

قالت بسخرية: «ان شئت مقابلتي لاحقاً، فما عليك سوى ان تطلب.»

«حسناً، ما رأيك بمساء الغد؟»

داعب نسيم الصيف العليل اطراف شعرها فبدت رائعة، لكم يتمنى لو يكون له معها مواعيد لا تنتهي.

«لا تستعجل الأمور، ماكنزي.»

حمل صوتها رنة التحذير، انما نظراتها فكانت تناجي

نظراته، فأحس وكأنه فتى تبتسم له اجمل فتاة في صفه.

شيء ما يحدث بينهما منذ ان التقاها، وهو أمر لا ينكره وان كان لا يعلم كنهه، انها حادة الطباع، ومع ذلك فهي المرأة الوحيدة التي تمكنت من لفت انتباهه.

قال وقد وصلا إلى سيارتها: «سأتبعك إلى المنزل، الوقت متأخر واريد التأكد من وصولك سالمة.»

قالت بحدة: «كتأكدك من انهاء الاعمال. انني راشدة ويمكنني الوصول إلى المنزل بمفردي، وهذا ما افعله منذ سنوات.»

اجاب ملامساً خدها:

«اشعر بأنه من واجبي حمايتك.»

قالت وهي تفتح الباب: «وفر شعورك.» ثم لوحت له وهي تغادر المكان في سيارتها.

ما ان اصبحت في الشارع حتى لمحت اضواء سيارته وراءها، فأدركت انها في حراسته شاءت ام ابت.

خلال الميل الأول من المسافة، سيطر الغضب عليها من تصرفاته، اما في الأميال الثلاث التالية فقد قررت ان ما قام به رويس هو اعظم ما قدمه لها رجل منذ... لم يسعها تذكر منذ متى، تساءلت ان كانت قد تسرعت في تهكمها معه.

الآن ستقضي ليلتها تفكر فيه، مهما يكن ما فعله أو لم يفعله، فهو قد دخل حياتها وافكارها واحلامها.

دخلت المرآب، ونظرت في مرآتها لتلمحه وقد توقف وراءها تماماً كما توقعت.

ترجلت من السيارة، وسألته: «هل شعورك بحمايتي تشمل رؤيتك لي اقف عند عتبة بابي، أيضاً؟»

قال مبتسماً:

«طبعاً.»

ثم قالت حين اصبحت امام الباب تماماً: «يؤسفني ان اخيب املك، ولكنني قادرة على القيام بذلك بمفردي.»

سمعت ضحكته وعلمت انه عازم على اللحاق بها. تشاغلت عنه بجمع الرسائل من علبة البريد، ثم اخرجت المفتاح من حقيبتها.

«دعيني اساعدك.» قال بينما اخذ المفتاح منها ووضعه في ثقب الباب وفتحه.

حاولت تريشا السيطرة على نفسها، اخذت نفساً عميقاً مجتازة عتبة بابها، وقد احست انها بحاجة للبقاء مع نفسها واعادة جمع افكارها.

انها بحاجة لابقاء رويس بعيداً عن حياتها، والا وقعت في حبه.

• • •

«ارى رويس متجهاً نحونا.» قالت لوسي وهي تنظر من بين الحقائب التي تقوم بتوضيبها في الواجهة.

قالت تريشا:

«اظنني سأناقش الأمر الطارىء في غرفة المكتب، هلا راقبت الزبائن؟»

«حتما يا تريشا، وما شأنه بي؟ فهو ليس قادماً لرؤيتي.»

قالت لوسي ذلك وقد ارتسمت فوق ثغرها ابتسامة ذات مغزى.

اجابت تريشا:

«وليس قادماً لرؤيتي أيضاً، انه يدير العمل كما تعلمين، ويحتاج لمراقبة رجاله.»

«وكنت تخفين الأمر طوال الاسبوع، كلما كان يحضر كنت تختلفين الأعذار لتجنبه.»

«هذا ليس بصحيح.»

«بل صحيح، وكنت تتصرفين منذ ان تناولتما العشاء معاً، وكأن بهذا الرجل وباء معدٍ.»

رويس ليس بوباء بل اسوأ من ذلك. لكنها لا تستطيع احتمال نظراته الحالمة، وعليها التنكر لمشاعرها تجاهه، فهو ليس بالرجل الملائم لها.

كانت قد اتخذت قرارها، قرار عقل وليس قرار عاطفة، وهو ان لا توطد صداقتها معه اكثر من ذلك. انه رئيس العمال الذين يرممون متجرها، وهو أمر لا يسعها الغاءه، انما لن يطول للابد.

الافتتاح الكبير للمتجر بات على الأبواب وعليها ان تكون مستعدة للحدث المنتظر، تتمنى ان تنجح اعمالها، وتوقعت ان تجلب المساحة المضافة، الى المزيد من الأرباح.

ذلك التوسيع الذي كان سبباً لمعاناتها من الفوضى والجلبة و... ومن رويس ماكنزي ايضاً.

«لوسي، لديك مخيلة واسعة.» قالت ذلك بينما كانت تتجه نحو المكتب.

ثم اضافت: «نادني ان احتجتني، فقط ان احتجتني.»

«جبانة!» هتفت لوسي وراءها، قبل ان يرن جرس الباب.

لقد كان رويس.

لازمت تريشا مكانها مصغية بإمعان إلى تبادله التحية مع لوسي.

اكانت تنتظر سؤاله عنها؟ حتماً لا، وحاولت ان تقنع نفسها بهذا الأمر.

ابتعدت عن الباب حيث وقفت تسترق السمع، وقررت ان تلقي اهتماماتها فقط، بأمور متجرها.

• • •

قالت لوسي وقد اطلت برأسها من وراء الباب: «يمكنك الخروج، لقد رحل!»

رفعت تريشا رأسها لتقول: «نكريني ان اطردك ما ان تسنح لي الفرصة.»

ضحكت لوسي غير آبهة بالتهديد. ثم دخلت المكتب وقالت: «لن تعثري على من يرضي بالعمل لديك، الجلبة في الخارج سببت لي صداعاً مؤلماً، الديك قرص اسبرين؟» وعمدت إلى البحث في احدى الجوارير.

«الجارور الأسفل.»

عثرت لوسي على القارورة، قالت: «شكراً.» مخرجة ثلاث كبسولات ومضت لتأتي بكوب من الماء.

فقالت تريشا: «اني آسفة حقاً يا لوسي مررنا بظروف صعبة مؤخراً، ما رأيك لو نقفل الأسبوع المقبل اقله، لحين انتهاء العمال من مهمتهم؟»

كانت تناولت هي الأخرى حصتها من الاسبيرين خلال الاسابيع المنصرمة. وتابعت: «سأدفع لك راتباً كاملاً، طبعاً.»

عادت لوسي ممسكة بكوب الماء وجلست قرب مكتب تريشا، ثم قالت: «كنت احاول ممازحتك انما... الاعمال سارت بهدوء هذا الاسبوع. اظن الاقفال لفترة لن يكون بالفكرة السيئة.»

«جميعنا بحاجة لفترة راحة.» قالت تريشا ذلك معززة اقتراحها وتابعت: يمكنك القيام بزيارة لأمك في استس بارك.»

قالت لوسي مؤيدة:

«ستسر أمي بذلك، اذن، اتفقنا.»

ثم سألتها لوسي مستدركة: «لا شأن للأمر بتجنبك لرويس ماكنزي، اليس كذلك؟»

«لست اتجنبه، لقد قلت لك ذلك.»

«هذا ما تقولينه.»

«انني فقط اتجنب ويزل ومنشاره والغبار، هذا كل ما في الأمر.»

«والارباك الذي يسببه رئيسه أيضاً؟»

كيف اصبحت لوسي بهذا الذكاء؟ تساءلت تريشا، ام انها باتت بهذه الشفافية؟

في الواقع، لم يكن المتجر وحده هو من يسبب لها كل هذا الازعاج، فلو منحت لنفسها هذه الاجازة سيكون لها الوقت للتركيز ولاعادة التوازن إلى افكارها، بعيداً عن رويس. قد تقصد البيت الخاص بجوف قرب لود ستار لقضاء الاسبوع،

ولطالما شجعها وزوجته على القيام بذلك. لكنها الآن تنوي الاقدام على ذلك.

قالت آملة ابعاد لوسي عن الموضوع: «رويس لا يزعجني.»

هتفت لوسي:

«سأل عنك.»

«حقاً؟» اجابت محاولة انكار انفعالها. «وبما اجبته؟»

«اخبرته انك ذهبت إلى النادي لممارسة لعبة كرة المضرب.»

«لوسي!»

«ليتك رأيت تعابير وجهه!»

«صُدم؟»

«كان يحاول اخفاء ذلك.»

«لوسي، بشأن الإجازة، اجعليها دائمة.»

• • •

وضعت تريشا الحقيبة الاخيرة عند الباب، هل نسيت شيئاً؟ راجعت القائمة ثم تفحصت ما تحتويه حقائبها، حذاؤها المريح، ثوبها الصوفي لسهرات الموقد، الجينز المفضل لديها، ستراتها الواسعة وخفها الطري. لم تكن غرفة المؤونة في منزل شقيقها الريفي تفتقر يوماً لأي نوع من المعلبات، ولكنها لن تعتمد عليها فقط. لذا قصدت اقرب بقالة وهي تبعد عشرين ميلاً عن منزل شقيقها وتسوقت اطعمة تكفي لاشباع عشرات الأشخاص.

تريشا جاهزة للانطلاق ولقضاء اسبوع من الراحة

المطلقة. نيرفانا، انه العلاج الناجح للاعصاب المتوترة.

بتينا وجوف كانا على حق، فقد وهبت نفسها للعمل ونسيت الراحة وهي الآن بأمس الحاجة اليها لإعادة الأمور إلى نصابها، أحست ببعض الذنب كونها لم تنذر شقيقها بأمر مجيئها الى منزله هذا، ولكنه قصد وعائلته مدينة سان فرنسيسكو لمتابعة احدى القضايا.

قادت السيارة تجتاز بها الضواحي باتجاه الغرب، انه مساء السبت والسير خفيف إذ يفترض ان يقصد الناس الأرياف يوم الجمعة. كما انه يوم سبت هادىء آخر في المتجر، قامت تريشا بمعية لوسي بنقل بعض البضائع إلى الغرفة الخلفية بعيداً عن متناول يد العمال، والبعض الآخر قاما بتغطيته. كانت تريشا قد ابلغت رويس بالأمس ان المتجر سيكون بأمرتهم طوال الاسبوع.

رويس.

انه السبب الأهم في مسألة الإجازة هذه. لن يكون بينهما اي لقاء، وخلال الاسبوع القادم ستتمتع بالنزهات في رفقة الجبال.

اجتازت تريشا السرعة القانونية توخياً للوصول قبل العتمة.

غادرت المدينة لتدخل طرقات الارياف الضيقة الخطرة، وكانت الشمس بدورها تستعد للمغيب وقد ارسلت الواناً متماوجة، تذكرت تريشا انها كانت تملك منظاراً صغيراً، لقد طلبت أليس منها مرة ان تجربه كي تتمكن من لمس الالوان والاشكال، ولكن تريشا اخبرتها ان ذلك من شأنه اخفاء

الجمال الطبيعي. احست بالحرقة المؤلمة التي تعاودها كلما اتت على ذكر شقيقتها.

انعطفت يساراً، فاسترعى انتباهها وجود لافتة تحذر من الصخور الساقطة، وصلت لودستار مع حلول الظلام، وكان الدرب الضيق، موحش، راحت تريشا تفكر بالمنزل وتمني النفس بالدف الذي ستناله قريباً، خاصة على هذا الارتفاع ومع هذا البرد القارس. واخيراً لاح لها المنزل، موحش مظلم، ركنت السيارة بجانبه وترجلت منها.

قادها نور القمر إلى المدخل، رمت بحقيبتها امام الباب ثم راحت تبحث في جيب سترتها عن المفتاح الذي اعطاها اياه جوف، فتحت الباب وتنهدت. جعلتها الغرفة الواسعة بموقدها تشعر بالهدوء والراحة. لم يطل بها الأمر حتى اشعلت الموقد، وفتحت حقيبتها عازمة على ارتداء ثوبها وخفها، غرفة كيفن إلى اليسار، سريره في فوضى، جينزه، ستراته ومضربان فوقه.

هزت تريشا رأسها اسفاً ومضت إلى الغرفة التالية، التي بدورها تعاني نفس الحالة، سترات، حذاء وثياب كلها موضوعة فوق السرير بإهمال.

دخلت المطبخ في جولة استطلاع، فتحت الثلاجة لتجد بيضاً طازجاً إناء حليب ولحم.

اتضح لها ان جوف ليس في سان فرنسيسكو، لا بد وأنه قد عاد مبكراً، واصطحب كيفن لقضاء عطلة الاسبوع. فتمتمت بصوت عالٍ: «حسناً يا شقيقي العزيز، لديك رفقة.»

«ماذا...» قال رويس بينما أخذ يحدق بالدخان الصاعد من فوهة المدخنة، ثم القى نظرة سريعة على السيارة الحمراء وأردف مبتسماً: «لن يخطر ببالك من عساه يأتي إلى هذه البقعة النائية.»

فتح باب الجيب وترجل وكذلك فعل داني الذي سأله: «من تراه يكون يا والدي؟»

اجاب رويس وقد ضاقت ابتسامته: «لنرى يا بني.»

الفصل السابع

قفزت من على الكنبة إذ وقع عليهما نظرها.

«إنها تريش يا والدي.»

ارتسمت ابتسامة سارة فوق وجه رويس وقد رآها.

«رويس... داني... ماذا تفعلان هنا؟»

ماذا تفعلان هنا عبارة تفوق السؤال. سقط الكتاب من يدها ليستقر فوق قدميها، ولكنها تمكنت من ابقاء يدها الاخرى ممسكة بكوب العصير.

اتسعت عيناها من هول المفاجأة، ورفعت يدها أمام وجهها وكأنها تخفيه عنه.

يفترض بأنها لم تحضر منذ وقت طويل لأنه لم يغب مع ابنه سوى لساعتين اثنتين، ولكنها وفي تلك الفترة القصيرة اعادت ترتيب المكان وملأته دفئاً. ربما السبب السنة النار، وربما حضورها الآسر، إنه لا يدري، كل ما يهمه الآن أنه مسرور لكونه لم يعد وابنه بمفردهما.

«أتودين رؤية الحجارة التي وجدتها؟» سألها داني، وقبل أن يتسنى لها الاجابة قفز يعرض أمامها مجموعته الغالية. ثم أدخل يده في جيب الجينز وأخرج واحداً أصغر «وجدت هذا في النهر، إنه من الذهب.»

قال رويس مستدركاً: «الذهب الزائف.»

قال داني وقد تقدم منها بالحجر: «أجل، يمكنك لمسها.»

تفحصت تريشا الحجر باهتمام، ثم قالت ترغم نفسها

www.liilas-romancia.com

على الابتسام بالرغم من هول المفاجأة: «إنه شيء هام.»

لقد باتت مضطرة بالاهتمام بنزهة والد وابنه، وهما ليسا جوف وكيفن. لكن الذنب ذنبها وحدها، فلقد اجتازت كل هذه المسافات دون ان تكلف نفسها بطلب الأذن في استعمال المنزل.

«أتودين رؤية هذه؟ إنها رأس سهم.» اردف داني دون ان يلاحظ انزعاجها. «كان الهنود يصطادون بها الاسود والدببة.»

«فهمت.»

جذبها داني إلى الارض لترى بقية الحجارة، وقد احست بنظرات رويس تبتسم لها برضى. لا بد أن شكلها مضحك في ذلك الثوب، وكأنها استيقظت من النوم لتوها. وضعت كوب العصير فوق الطاولة ونظرت إلى رويس شذراً وقالت: «لا أظنك دخلت المنزل عن طريق الصدفة.»

ابتسم قائلاً: «لا، لقد حضرت ومعي كافة التفاصيل للوصول، وطبعاً مع الاذن بقضاء العطلة، وأنت؟»

قالت وقد أشاحت بنظرها: «لا اذن. فكرت فقط... حسناً، يبدو أنني... اتخذت قراراً سريعاً، ولكنه جاء معاكساً.»

«اصغي، المكان يتسع لكلينا. بوسعك استخدام غرفتي أو نستلقي على تلك الكنبة معاً.»

قالت وقد وقفت بسرعة: «يجدر بي ارتداء ملابسي ومغادرة المكان.»

قال رويس ممسكاً بيدها: «لن تذهبي إلى أي مكان، الظلام حالك في الخارج وطرقات الجبال خطرة.»

المكان هنا خطر كذلك، مع تلك المشاعر التي تطغى عليها.

«سوف تمكثين هنا.» قال رويس مراقباً تأثير اقتراحه عليها، ثم تابع: «والا رحلت مع داني.»

حوّل داني نظره إليه قائلاً: «ولكنك وعدتني بالبقاء هنا حتى الغد.»

تنهدت تريشا بحزن لانه فاتها أن الوقت قد تأخر، ولا يمكنها أن تتركهما ينصرفان فقد لا يصلان إلى دنفر قبل منتصف الليل.

وسيكون حالها كذلك إن هي رحلت.

لذا قالت: «سأغادر صباحاً، وفي وقت مبكر.»

«سندع المناقشة لحينها.» قال رويس ذلك مبتسماً ثم التفت نحو داني قائلاً: «هيا يا بني، لقد تأخرت عن وقت نومك.»

أجاب داني متذمراً: «ولكن تريشا لم ترَ كل الحجارة.»

أجاب رويس: «في الصباح.»

اظهر داني حركة احتجاج مرة أخرى، ولكنه عمد إلى جمع حجارته قرب الموقد ونهض.

تنهدت تريشا، أمامها صباح حافل على ما يبدو.

قام رويس بتغطية ابنه وأزاح خصلة من شعره تدلت فوق جبينه. ما زال لا يصدق كونه موجود مع ابنه، فقد كانا سابقاً يلتقيان لفترات محدودة.

«عمت مساء يا والدي، يسرني أنك احضرتني إلى هنا، فالمكان رائع.»

«حقاً، إنه رائع.»

اسعده أن جوف أعطاهما مفتاح هذا المنزل فلم تسنح له الفرصة من قبل لنصب الخيم في الارياف، ولم يكن قد لعب

البيسبول قبل هذا الصيف ربما يكون الربو سبب منعه عن ذلك.

ألقى نظرة مطولة على وجه ابنه المتورد وقد لوحته الشمس، لم يشعر داني بعوارض الربو منذ ان حضر إلى دنفر.

«ويسرني وجود تريشا أيضاً.» اردف داني والنعاس لم يتمكن منه بعد. «قد تساعدنا في اقتفاء الأثر غداً، اراهن أنه يؤدي إلى كهف دب، الا يوجد ببة هنا، يا والدي؟»

«ربما.» أجاب رويس مرتاباً، ولكنه لم يرد افساد سعادة ابنه، ولكن مهلاً، على من يسخر؟ تنكر فجأة أنها لم تظهر اية سعادة لرؤيته.

«أتظنها تخاف من الدببة؟ الفتيات يخفن عادة من الحيوانات المفترسة.»

«سيكون علينا حمايتها، أليس كذلك؟»

«الآن اخلد للنوم فأمامنا يوم حافل غداً.» قال رويس وهو ينحني ليطبع قبلة فوق وجنة داني.

لا يعتقد رويس أنه يوجد في العالم شعور سام كالذي يكنه لابنه، ما لم يجد امرأة تباله نصف المشاعر، والأمر أشبه بالمقارنة ما بين البرتقال والتفاح وكلاهما لذيذ.

«عمت مساء يا بني.»

اطفأ رويس النور، وعاد إلى غرفة الاستقبال. ما الذي جعله يفكر بحب امرأة ما، أو بحمايتها من الدببة؟

سكبت تريشا لنفسها كوباً آخر من العصير، وراحت تزرع الغرفة ذهاباً وإياباً.

ربما يجدر بها ان تقضي هذه الليلة في المقعد الخلفي

للسيارة، فقد تساهم برودة الطقس في التخفيف من حدة غضبها.

ظهر رويس في هذه اللحظة، فسألته: «هل نام داني؟»

لقد أعجبها لطفه اللامتناهي مع ابنه، وفكرت أنه الجانب الآخر من شخصية ماكنزي الذي يدير أعمال البناء، والجانبان خطران على أية حال.

«الحماس واللهو أخذا منه كل مأخذ، وها هو يشعر بالنعاس الشديد الآن. أتمانعين أن أشاركك هذه الجلسة؟ لا شيء يضاهي كوباً من العصير أمام موقد النار.»

قالت تريشا: «اخدم نفسك.» تمنت أن تشعر بالنعاس هي الأخرى.

التفت إليها رويس قائلاً: «هل تناولت الطعام؟ يمكنني ان اعدّ شيئاً لك...»

«ليس عليك لعب دور المضيف معي، فلسنا في مناسبة اجتماعية. كلانا هنا بسبب صدفة غريبة.»

«ألا تظنين ان هذه الصدفة أشبه بتوارد أفكار تمّ ما بين شخصين؟»

«كانت غلطة سيئة.»

«أفضل البقاء على فكرة توارد الأفكار. أتأتين إلى هنا غالباً؟»

«نادراً جداً، فأنا منشغلة بمتجري ولا وقت لدي. لِمَ لم تخبرني بأنك خططت للمجيء إلى هنا؟»

سألها مراوغاً: «لم لم تفعلي أنتِ؟»

لقد قصدت لودستار هرباً منه وها هو أمامها، وابتسامته الساخرة فوق ثغره. ستغادر المكان صباحاً وستتجه إلى

كنساس سيتي أو ربما التيبت، لا بد من وجود مكان تقصده هرباً من هذا المكان.

نهضت قائلة: «يجدر بنا تسوية مسألة النوم.»

اجاب برقة: «كما تريدين.»

«سأنام على الكنبة حتماً.» تابع يقول مستدركاً وقد لاحظ ارتباكها.

أجابت: «لا داع لذلك... سأنام أنا على الكنبة وأغادر في الصباح الباكر قبل أن تستيقظا...»

«لا حاجة بك لتبديل برنامجك بسببي فنحن سنغادر المكان إلى المدينة بعد ظهر الغد.»

نظرت إليه لتلمح عينيه الخضراوين يتوهجان مع لهب النار المشتعلة، فخفق قلبها وبشدة.

ارتابت بامكانية احتمالها حتى يوم الغد. «ما رأيك، تريشا؟»

سألته بصوت مخنوق: «ما رأيي بماذا؟»

«ألا تبقين هنا؟»

كان رويس قد أمضى ليلة قلقة يفكر فيها، وبشيء من التوسل قال مجدداً: «ألا تبقين؟»

«سأغادر في الصباح الباكر، إنها اجازتكما... أنت وداني.»

«فهمت. رحلة رجالية وممنوع وجود البنات، أهذا ما تعتقدينه؟»

قالت بحدة: «شيء من هذا القبيل.»

«داني يتمنى بقاءك، أخبرني بذلك وأنا أضعه في السرير. أريدك أن تبقي.»

هناك ما يزعج تريشا، وتمنى لو تخبره عنه. لقد تعمدت تجنبه طوال الاسبوع، يعلم ذلك.

كان كل منهما في واد ناء عن الآخر. تلك المرأة تثير جنونه. وها هو واقف أمامها يتأملها بكل حب، فيما يفترض به العودة إلى دنفر. أتراها مثله تشعر بنفس مشاعره؟

قالت مبتعدة عنه: «لقد تأخر الوقت.»

تنهد رويس وهي تبتعد عنه، وحدّق بالنار ملياً وكأنه ينتظر منها الأجوبة.

التفت فوجدها قد عادت حاملة الأغطية والوسادة.

• • •

ناول داني تريشا بيضة أخرى، وقال: «اعجبت أمي بالهدية وقالت ان القفازين هما أجمل هدية تلقتها وسترتدينهما دوماً.»

لم يكف عن الكلام منذ استيقظ من النوم، وقد أبعدت هذه المناقشة تفكيرها عن الليلة المتعبة التي قضتها. ولكم ادهشها أن تجد نفسها تنساق وبسعادة مع أحاديثه.

«لا بد أنها ترى أنك فتى مميز.» قالت تريشا وهي تضع الجبن والعسل والزبدة، وقطع من التوست المحمص على الطاولة.

إنه طفل مميز وهي تحبه كثيراً، وقد رضيت بمساعدته لها في اعداد الفطور بعدما عرض عليها ذلك.

«ارائحة قهوة هذه؟»

التفتت لدى سماعها الصوت الناعس. وقف رويس عند الباب وقد ارتدى ملابسه، ثم حاول تمشيط شعره بأنامله.

www.elromancia.com

«القهوة هناك.» قالت مشيرة إلى اناء القهوة.

«شكراً، لن أكون الرفيق الممتع قبل ان اتناول نصف الكمية منها.»

يحتاج إلى ذلك وأكثر. أملت أن يكون قد قضى مثلها ليلة مسهدة. لقد الح عليها ان تنام على السرير، ثم اخرج حاجياته من الغرفة.

قال داني لوالده: «نحن نعد فطور الصباح.»

دنا منها رويس ممسكاً بفنجانه. «أرى ذلك.» قال ذلك وهو يرقب الطعام فوق الفرن.

أضاف داني: «وعدتني تريشا باقتفاء الاثر معنا.»

هل وعدت؟ ليست متأكدة، ولكن لا بد أنها فعلت. يبدو داني واثقاً. أفكارها مشوشة بوجود رويس بقربها.

«حسناً، سوف تمضي يوماً ممتعاً.»

لم يبد أنه فوجيء ببقائها، أو لقبولها بمرافقتهما. أخذت تعد البيض المقلي وهي تأمل أن يحبها ناضجة جداً كما تعده عادة.

سألها: «أيمكنني مساعدتك؟»

أرادت أن تسأله الوقوف عند الباب، ولكنها تعلم أن ذلك لن يكون كافياً ليبعد ما بينهما. عوضاً عن ذلك سألته: «هل أنت ماهر باعداد التوست المحمص؟» على الاقل محمصة الخبز في غرفة أخرى.

«التوست المحمص من اختصاصي، أليس كذلك يا داني؟»

أجاب داني ضاحكاً: «إنه يحرقه كل صباح.»

«أنت الآن تفشي اسراري.»

ابتسمت رغماً عنها وهي تتصورهما يجاهدان لاعداد الفطور. لم يكن رويس من النوع الذي يجيد اعداد الطعام. نثر رويس قطع التوست فيما كان يرقب تريشا بطرف عينيه.

سمعهما يتحادثان عندما استيقظ، وكان داني كعادته يقود المحادثة وبسرعة. اصغى إلى ضحكتها النابعة من قلبها تجاوباً مع حادثة كان يسردها داني، ولكم تمنى مشاركتهما تلك الجلسة.

اسعده بقاءها ووعدها لداني بمرافقتهما في هذه النزهة. قد أفلح ابنه في تنفيذ ما كان يفترض أن يفعله بنفسه، وفكر بأن يتعلم منه مبادىء أسلوبه هذا.

«سأعد المائدة.» قال داني واخذ يحمل الأطباق التي أنزلتها تريشا من الخزانة.

هتفت تريشا: «حاذر وإلا انكسرت.»

توقف رويس عن طلي الخبز بالزبدة وقد استرعى انتباهه تحذيرها لداني.

كانت مجرد اطباق قديمة متنافرة، ولكن تريشا بتصرفها جعلت السامع يظن انها من الطراز الرفيع.

وضع داني الاطباق فوق المائدة وعاد لينقل الاواني الفضية.

قالت محذرة مجدداً: «لا تركض فقد تؤذي نفسك.»

نظر اليها داني بتساؤل، وكذلك فعل رويس. ابن السبع سنوات لا يفعل شيئاً بتأن، ما لم يكن يستعد للنوم وهو يحتاج للارشاد ولكن تريشا بدت أكثر من مرشدة. لم تكن قلقة على الاطباق بل على سلامة ابنه. انبثقت شريحتا الخبز

من المحمص، فمسح عليهما الزبدة ثم حملهما إلى المائدة متسائلاً إن كان سيتعرض بدوره لتحذيرها.

ابتسمت تريشا قائلة: «لم تحرق الخبز. ربما كلفتك بغسل الصحون بعدما نفرغ من الفطور.»

• • •

«أكل شيء جاهز؟ داني، دعني أعقد شريط حذائك.» قال رويس ذلك ثم انحنى يعقد له الشريط. «هل أحضرت حقيبتك؟»

«أجل.»

«وأنت يا تريشا؟»

قالت بحزم: «لقد ربطت شريط حذائي.»

«اقصد هل أنت جاهزة؟»

«كما لم أكن في حياتي.»

لكم يبدون معاً كعائلة سعيدة، فكر روي وهم يهمون بالخروج ثم سرعان ما ابعد هذه الفكرة عن رأسه، وقال: «داني وجد هذا الأثر بالامس، ولكن الظلام منعنا من اكتشاف مصدره وعلينا اليوم اعادة الكرة.»

«أهو بعيد؟» سألت وهي تلقي بنفسها داخل سيارة الجيب.

«حوالي خمسة أميال. سنسير بالسيارة ما أمكننا، وباقي المسافة نقطعها على الاقدام.»

رويس كان محقاً بشان الطقس الجميل. وصلوا الموقع الذي يفترض فيه أن يغادروا الجيب سأل رويس: «مستعدون؟»

«أجل.» أجاب داني متحفزاً للبدء بمغامرته الكبرى ثم جرى أمامهما.

«ألست خائفاً أن يتوه أو ان يتعرض للاذى؟» تساءلت تريشا.

ها هي من جديد تلعب دور المرشدة. راقب رويس وجهها فوجدها تنظر الى ابنه نظرات جزعة وخائفة، ربما ليست معتادة على طيش الاطفال. فقال لها: «سيكون بخير، لا تقلقي. يعلم جيداً طريق الاثر.»

إنه ابن رويس، ذكّرت تريشا نفسها، وعليه الاعتناء به فهو ليست مسؤوليتها بأي حال. اجبرت نفسها على الابتسام وقالت: «أحضرت بعض الطعام في حال شعرنا بالجوع.»

«ماذا أحضرت لنا؟»

أجابت تريشا: «تفاح، وبضعة سندويتشات.»

«دعيني أحملها، احملي أنت حقيبتي فهي أخف وزناً.»

«ليست بثقيلة الوزن، شكراً. انظر، ظبية صغيرة.»

«أين؟»

«هناك، في تلك الفسحة.» أجابت وقد اخرجت آلة التصوير لالتقاط صورة. ظهر العديد منها لاحقاً، ثم أتت الوالدة.

نادى رويس ابنه ليراها: «مهلاً والا أخفتها.»

«رائع.» قال داني مندهشاً للمشهد.

التقطت تريشا صوراً عديدة وقد ظهر الايل فقالت لداني: «سأعطيك الصور متى ينتهي تظهير الفيلم.»

جلس بجانبها وأمسك بيدها ثم راح يمطرها بأسئلة

حول الايل وموطنها. اجابت تريشا ما أمكنها، ثم التفتت نحو رويس مستعينة به، فاستلم زمام الموضوع حتى استهلك داني اسئلته كلها.

ابتسمت لشدة فضوله وتساءلت ان كان هذا شأن الاطفال جميعهم، وفي حال الايجاب فلديها تقدير آخر لبتينا.

«انظر يا والدي.» قال داني مشيراً إلى أثر ما، ثم تابع: «علمت أنه يؤدي إلى مكان مناسب.»

انتقلت عدوى تحفزه وحماسه إلى والده، ولم تجد تريشا سبيلاً أمامها سوى التمثل بهما، لعلّ هواء الجبل يجلب لها الشعور بالهدوء.

ادى بهما الاثر إلى غابة من الصنوبر تكاد أغصان اشجارها تخفي نور الشمس.

ساروا بشكل افرادي ليتجنبوا الاغصان، تقدم داني في السير تتبعه تريشا، ورويس في المؤخرة.

جاء يومهم ممتعاً وقد امنت الجبال لهم الهواء المنعش ورائحة الصنوبر والمناظر البديعة.

وأخيراً بدأت الغابة تضيق وكادت الشمس تختفي من كثافة الاغصان. وصلوا فسحة تحدها ساقية من المياه الصافية.

«هذا مكان رائع، أهنالك أحد جائع؟»

تلقت تريشا اجابتين حماسيتين، وقد كانت تتضور جوعاً. أخرجت السندويتشات من حقيبتها وراحت تعطيهما اياها ثم قالت: «لدي بعض علب العصير أيضاً.»

ساعدها رويس في ايجادها فسلم واحدة لداني وأخرى لتريشا واحتفظ لنفسه بالثالثة. اكلوا بنهم، لطالما كان

لرويس شهية ممتازة، وقد ازدادت في ذلك الطقس البديع. ربما كانت تريشا سبب تلك الزيادة في الشهية، راح يرقبها وهي تقضم التفاحة برقة وكأنها تتناول طعامها في مطعم راق، لكم يحب قضاء اليوم برفقتها.

سأل داني: «أيمكنني السير بمحاذاة الجدول؟»

أجاب رويس: «ما ان تفرغ من طعامك، وأعد لي كيس النفايات لأربطه. تذكر، علينا ان نغادر المكان ونتركه نظيفاً كما كان.»

«انكر ذلك.»

كانت تريشا ترقب المشهد، لكم يبدو رويس رائعاً مع ابنه، وتساءلت أتراه كان زوجاً صالحاً؟ ما سبب انفصاله عن ايفي؟ ثم ذكّرت نفسها بأن هذا ليس من شأنها.

غادرا المكان فيما سار داني بمحاذاة الجدول متحفزاً للاستكشاف. راحت تريشا تراقبه قلقة، فيما كان رويس يتابع نظراتها. التقط داني عصا ثم عمد إلى غرزه في بركة صغيرة.

قال رويس: «إنه يكتشف عمقها.»

«ولكنه قد ينزلق فوق الصخور ويقع.»

«أسوأ ما قد يتعرض له هو البلل. إنه بخير يا تريشا. يحب الأولاد استقصاء الأمور . كعمق الجدول مثلاً . ويحبون معرفة كم يمكنهم الاقتراب منه دون أن يقعوا فيه.»

وربما الرجال لا يختلفون عن الاولاد، فكر رويس الذي مر بتجارب عدة مؤخراً ولا شك أنه كان يسير على الحافة. أنهت توضيب حاجياتها دون أن ترفع نظرها عن داني ثم قالت: «الأولاد ضعفاء جداً.»

حدق بها رويس فرأى عينيها المتسعتين ووجهها الممتقع فقال: «ما الأمر يا تريشا؟ انها ليست المرة الأولى التي ينتابك فيها القلق اليوم.»

أجفلت ثم قالت: «جل ما في الأمر أن الأولاد بحاجة للحماية كي لا... يتأذوا.»

انتابه احساس بأنها تخفي أمراً ما، وقبل أن يتسنى له السؤال عنه كانت قد بدأت بالسير بمحاذاة البحيرة مع داني.

لحق بهما رويس.

قال داني بينما كان يشير إلى العصا: «المياه بهذا العمق. ايمكننا اللحاق به لنرى إلى أين يؤدي؟»

أجابه رويس: «نعم، إلا إذا كان يؤدي إلى المحيط.»

قهقه داني وتابعوا سيرهم.

أضاعوا الأثر بعد مسافة قصيرة ودخلوا في ما يشبه الوادي الضيق.

تجهم وجه داني وقد خاب أمله وعادوا ادراجهم.

وجدوا شلالاً صغيراً يتدفق من فوق الصخور، جلس رويس وتريشا على جذع ضخم أما داني فراح يتفحص آثار اقدام حيوان بري.

قال بعد ذلك: «أراهن أنها تخص احدى الدببة.»

«إنها صغيرة لتكون قدم دب.» أجاب رويس جازماً ولكن داني تابع تقصيه، غير مقتنع بالفكرة.

«اعتني بابني جيداً إنما دون افراط.» قال رويس الذي لم يفته ما تشعر به من القلق. ارادها أن تعلم سبب وجود الكدمات على رجلي داني، فقال: «لقد قامت ايفي

بما فيه الكفاية لاجلنا معاً، خاصة عندما أصيب داني بالربو بينما كان ما زال طفلاً، وكانت هي حريصة عليه جداً.»

ضحك بمرارة مضيفاً: «تلك هي المهزلة، إنها تهتم لعملها أكثر من اهتمامها بابنها اليوم. لقد تخلت عنه بسهولة، وهذا ما سبب له الألم.»

«تضحياتك له رائعة، وأظن ايفي محقة بشأن حرصها الزائد عليه كونه مصاب بالربو.» قالت ذلك محاولة تفهم وجهة نظر هذه المسألة.

«كانت مخطئة، أعلم ذلك. أنا أيضاً كنت مصاباً بالربو في صغري، وقد عانيت كثيراً من جراء التفرج على الأولاد في لعبهم وأنا عاجز عن مشاركتهم. عندما بلغت الثامنة عشرة التحقت بأعمال البناء، لربما بمثل هذه الأعمال، تعود إلي صحتي. وفي المساء، انتسبت إلى مدرسة بدوام جزئي إلى أن تخرجت ثم عمدت إلى انشاء شركتي الخاصة بالبناء.»

«وتريد أن تقوي من صحة داني.»

«أريده أن يكون فتى طبيعياً. يقول الاطباء انه قادر على القيام بما يحلو له، وهو بأحسن حال منذ ان حضر إلى دنفر.»

كادت تريشا تبادر إلى تذكيره بأن داني لم يحضر إلى دنفر سوى منذ فترة وجيزة، وهذه ليست بالفترة التي يمكن ان تتحسن صحته بها، ولكنها شعرت بأنه يعلم ذلك. عند ذلك ادركت سبب مجيئهما إلى هذا المكان وكم انه أمر هام جداً بالنسبة له، ولداني.

مخاوفها تجاه الفتى كانت طبيعية، ولكنها ليست بالمخاوف المخيفة. الاولاد يصابون بالاذى... وأحياناً يموتون هنالك سر تطويه في قلبها، ولا تقوى على ابلاغ رويس به. لقد كانت آلامها مبرحة وعميقة، وكذلك ذنبها.

الفصل الثامن

سار داني بجانبها ممسكاً بيدها، فتساءلت بينها وبين نفسها، الا يسأم الأولاد من هذه النزهات؟ راحت تمني نفسها بحمام ساخن يمنحها بعض الراحة.

أمضى داني يوماً رائعاً، وأثاره واضحة على وجهه. هي أيضاً استمتعت للغاية، وهذا أكثر ما يخيفها.

تودّد داني لها في تزايد مستمر، يعزز هذا الاعتقاد طريقة امساكه ليدها وبشدة. تساءلت إن كانت ستسمح لنفسها مستقبلاً بالتقرب من داني أو من والده.

كان رويس يسير على بعد خطوات منهما، وجدت نفسها تفكر فيه، بالآلام التي عانى منها في صغره، بالخيبة التي مني بها في زواجه وبعزمه على الاعتناء بصحة ابنه.

كلما تعمقت بمعرفة رويس كلما ازداد اعجابها به. إنها تمضي وبخطى حثيثة باتجاه الوقوع في حبه، وهذا برأيها كارثة محققة.

لا يسعها دخول حياته وحياة داني. لم لا يعمل القلب والعقل على اصدار القرارات معاً؟ تساءلت بمرارة.

«ها هو الجيب.» هتف داني ثم وثب إليه. كان يفترض بوثبته هذه أن يكون قد أصبح منهوك القوى، ولكن شيئاً من ذلك لم يحصل.

سألها رويس وهو يفتح لها الباب: «هل أنت متعبة؟»

أجابته: «بل مرهقة، ليت داني يقرضني البعض من حيويته.»

«سيكون مثلك مساءً.» أجاب رويس ثم أغلق الباب.

عند المساء، سيكون رويس قد رحل برفقة داني وستكون بمفردها مع أفكارها. حسناً، أليس هذا ما أرادته منذ البداية؟ أوليس هذا ما حضرت لأجله منذ البداية؟ لا، هتف قلبها.

وصلوا المنزل حوالي الساعة الرابعة، فقالت لهما: «ساعد الطعام، فلا بد أن الجوع قد نال منكما منذ أن تناولتما تلك الوجبة الخفيفة.»

«أنت متعبة، سأتناول وداني وجبة سريعة في إحدى المطاعم على الطريق.»

قالت باصرار: «ساعد لكما بضع سندويتشات فيما تجهزان.»

التفت نحو داني قائلاً: «هيا يا صاح، فلنجهز نفسنا.» كان داني مستغرقاً بتوضيب الحجارة التي جمعها، وقد أضاف إليها ما جمعه هذا اليوم، وقال: «هل تريشا قادمة معنا؟»

احتقن وجه تريشا، لقد دخلت حياتهما بقوة وهذا ما كانت تخشاه. أجاب رويس: «لا يا بني، ستبقى لبضعة أيام هنا.»

امتقع وجه داني، وراح ينقل نظره ما بينهما ثم قال مبتسماً: «يمكنني البقاء مع تريشا، وتقلني هي إلى البيت.»

حدقت بداني وقد تملكتها الدهشة، ثم نظرت إلى رويس فهو حتماً لن يسمح بذلك. أخذت مخاوفها تشتد ملغية أحاسيسها كافة ثم قالت: «لا.» نطقت بها رغماً عنها. إنها تحب داني ولكن لا يسعها تحمل مسؤوليته. تملكها الخوف لدرجة لم يتسن لها رؤية وجهه يتقلص، ولم تلحظ حتى أنه جرى مغادراً الغرفة.

ولكنها رأت في عيني رويس، الصدمة والمفاجأة في آن. نظرته إليها جاءت باردة فسرت رعشة في جسدها امتزجت مع الخوف الذي تمكن منها. أدار رويس ظهره مغادراً الغرفة، أما هي فبقيت في المطبخ.

«هاك السندويتشات التي أعددتها. لقد وضعت زجاجة القهوة و... بعض الحليب لداني.»

أجاب رويس بجفاء: «شكراً. يستحسن بنا أن ننطلق، سيحل الظلام قريباً.»

«أجل.»

رافقتهما حتى الجيب، وقد خانها الكلام فلم تجد ما تقوله.

أحست بالارتباك، وبالكاد أمكنها النظر إلى داني.

لا يسعها تحمل مسؤوليته، فقد يقع ما ليس بالحسبان.

انطلقا بعد أن لوحا لها مودعين، أحست بالألم في قلبها وهي تعود ادراجها. لم يلتفت رويس إليها ليرمقها بنظرة، واختفيا بلمح البصر. كان مشوّشاً، غاضباً ومتألماً، ولكنه على الأرجح غاضباً. ليس السبب لأنها لم تسمح لداني بالبقاء بل لأنها تصرفت معه بجفاف.

أمسك بالمقود بقسوة وكأنه سيكسره بين يديه. لقد خيل إليه أن تريشا تحب ابنه ولكنه كان مخطئاً. لقد جعلته قريباً منها لبعض الوقت، وتخلت عنه بعد ذلك. ذلك كان شأن ايفي، فقد احتضنت ابنه لسنوات بسبب مرضه، ثم تخلت عنه لرويس.

التفت نحو ابنه، فوجده ينظر عبر النافذة عندما قال له: «هل أنت بخير، يا بني؟»

نظر إليه داني وهز بكتفيه ثم قال: «اراقب الدببة.»

وعاد ينظر عبر النافذة.

غاص قلب رويس. لكم يتألم من رؤية ابنه حزيناً، فقال له مطيباً خاطره: «يفترض بكيفن أن يكون قد عاد هذه الليلة، فاتصل به وأخبره بشأن الرحلة.»

«أجل.»

أراد رويس الاعتذار بشكل ما وإفهام ابنه بأن الأكبر سناً يتصرفون بنزق أحياناً وأنهم يتعرضون أيضاً للمتاعب تكون نتيجتها اصابة الصغار بالألم. ولكنه لم يقو سابقاً على ايجاد عذر يبرر ما أقدمت عليه ايفي. كيف عساه يبرر ما فعلته تريشا وهو نفسه يجهل سببه.

كانت تصرفاتها رائعة خلال نزهة اليوم: ضحكاتها مع داني، بريق عينيها وهي تدل داني على مخلوق بري أو على طير ذي ريش رائع الجمال.

كيف عساه يقيم صداقة مع امرأة رفضت ابنه؟ داني ما يزال طري العود ويحاول بناء حياة جديدة وهذه مسؤولية رويس الأولى.

• • •

أحست بالجدران تطبق على أنفاسها. المنزل بما فيه تحوّل إلى زنزانة من الذكريات. ضحكات رويس أمام الموقد، احتضانه لها، مساعدة داني لها، ويومهم الرائع في الحقول.

ها هي لليلة الثالثة تذرع الغرفة بخطواتها، محدقة بالنار تنتظر الاجوبة على تساؤلاتها. كانت قد لجأت إلى

هذا المكان هرباً من تفكيرها بهذا الرجل ولكنها تجد نفسها الآن أشد ارتباكاً من ذي قبل.

حاولت أن تقرأ، أن تنام. تمنت أن تسير في الغابات وتطعم الطيور أو تحصي عدد القرود، فقط لتنسى رويس.

أعادت حوارها مع داني مراراً وتكراراً، محاولة انهاءه بشكل مغاير ولكن النهاية كانت تأتي متشابهة في كل مرة لتضاعف نسبة مخاوفها.

تسببت بالألم لرويس ولداني بمخاوفها تلك، الفتى الذي ما زال يتألم وهي تتفهم جيداً سبب المه.

راحت ترقب ألسنة النار إلى أن نال النعاس منها. استفاقت بعد حين لتجد نفسها فوق الكنبة مغطاة بغطائها وبشكل عبثي، أما النار فقد انطفأ لهيبها.

وقفت بسرعة، وحاولت تمشيط شعرها بيدها. تعلم جيداً أنه سيصعب عليها مواجهة تلك الجدران لليلة أخرى. لقد جاءت إلى هذا المكان لتنسى رويس ولم يفلح الأمر، إنه يحتل أفكارها نهاراً ويقض مضجعها ليلاً. قد تمضي هنا آلاف الايام والليالي دون أن تتمكن من نسيانه. لن يسعها الاختباء بعد الآن، عليها العودة إلى متجرها مسلحة بعلبة اسبيرين واحتمال الغبار والفوضى و... ويزل.

وأجل، ستواجه رويس.

حتى وإن كان خيط الأمل قد انقطع ما بينهما، فهي مصممة على محادثته، وافهامه سبب تصرفها. ولكن ماذا بشأن داني؟ كيف ستشرح له الأمر؟ معلوماتها عن الأولاد محدودة وهي للمرة الأولى تتمنى لو أنها تعرف عنهم الكثير.

انتهت خلال ساعة من تنظيف المنزل، وتوضيب ملابسها

وعادت ادارجها إلى دنفر. بعد الظهر كانت وراء طاولة مكتبها تصغي إلى المخابرات وتفتح الرسائل التي وصلت في غيابها.

ها هي الآن تقف أمام متجرها تحتل أفكارها تساؤلات عدة عن امكانية العودة إلى المنزل. العمال منكبون على عملهم، والمكان اشبه بقفير نحل. قدرت أن يكون رويس قد اتى بفريق عمل اضافي لانجاز أعمال أكثر في غيابها. اصيبت بما يشبه الخيبة وهي ترى الأعمال وقد أنجزت بمعظمها، أليس هذا ما تريده؟

لفت نظرها ويزل متسلقاً احدى السلالم ويثبت جهاز ضوئي جديد على احدى الجدران المطلية حديثاً.

هتف إذ رآها: «مرحبا.»

«مرحبا ويزل. سأعمد إلى انجاز بعض الاعمال في مكتبي، ولن أعيقكم.» ثم أخبرت العمال بأنها ستمنحهم المتجر طوال هذا الاسبوع، واليوم هو يوم الاربعاء.

«لن تزعجيننا البتة.»

سارت باتجاه المكتب، ثم استدارت وسألت: «هل... رويس موجود اليوم؟»

أجاب ويزل: «أجل، إنه في مكان ما، أبحاجة أنت إليه؟»

«ان لم يكن منشغلاً.» أجابت وهي تتوارى داخل المكتب. تشاغلت بفتح الرسائل، وفيما هي تقرأ الرسائل تناهى اليها صوت رويس قائلاً: «أخبرني ويزل أنك بحاجة إلي. هل من خدمة اؤديها لك؟»

نبرة صوته جاءت جافة وتحمل طابع رجل الاعمال. تسارعت دقات قلبها.

أرادت التكلم، إنما ليس بهذا الشكل، فهو يمطرها بنظرات جعلتها تشعر بأنها أكثر من غريبة عنه.

«أردت أن أقول... أنكم تقدمتم في الاعمال بشكل ملموس.»

أجاب متفحصاً اياها: «ارتأيت انهاء الاعمال سريعاً.»

أحست من نبرة صوته أنه ينوي انهاء الاعمال لأجل مصلحته الخاصة. وتابع يقول: «يفترض بنا الانتهاء يوم الاثنين، عدا بعض التفاصيل الصغيرة التي لن تعيقك طبعاً عن اعادة فتح متجرك.» أضاف وقد جاهد ليبقى متماسكاً أمامها، أمام عينيها الواسعتين الزرقاوين.

لقد أحبها منذ اللحظة التي التقاها فيها. لكم حاول تجاهل الأمر، ولكن الحقائق تجلت خلال الاجازة التي قضوها معاً، هو وهي وداني.

نظرة واحدة منه إليها قد تفضح مشاعره وتجعله يرضخ لأهوائه، وهو ما لن يسمح بذلك أبداً. داني يحتاجه وهو بحاجة لداني، كانا يعيشان حياة مرضية قبل أن تدخل حياتهما، وسيتمكنان من العيش بدونها.

ثم سألها: «هل من شيء آخر؟»

إنه يتوق لسماع شيء آخر، أو لشرح يبرر ما حدث.

نظرت إليه تريشا محاولة اخراج الكلمات من فمها، ولكن نظرته الجامدة حبستها في حلقها.

أجابت: «لا. لا شيء.»

• • •

«اعتذر للفوضى في ذلك المنزل، ولكنني لم أكن أعلم أنك قرّرت أن تقضي العطلة فيه.»

لم يكن أسف جوف بحجم اسفها. فأجابت: «تدبرنا أمورنا جيداً.»

سألها متفحصاً اياها: «لا متاعب اذاً؟»

حرّكت رأسها وابتسمت لتطمئنه. لقد جاء جوف إلى متجرها ليعاين أعمال البناء الجارية ولدعوتها إلى العشاء. كانت تريشا تنوي رفض الدعوة، ولكنها عادت ورضيت بعدما فضّلت أن تمضي السهرة مع عائلتها بدلاً من افكارها.

جالت مع جوف في المكان، وأخبرته أنها تتوقع انتهاء الاعمال خلال هذا الاسبوع.

فقال لها: «لم يكن اقفال المتجر بالفكرة السيئة.»

اومأت ايجاباً، وفكرت لم يكن اقفال المتجر بالفكرة السيئة، انما رحلتها إلى ذلك المنزل فحسب هي الفكرة السيئة.

أخبرت جوف أنها ستلتقيه عند السابعة، وسألته أن كان يريدها أن تحضر معها شيئاً ما، فأجاب: «لن تسمح بتينا بذلك.»

مع ذلك قررت تريشا احضار علبة حلوى، ورضخت بتينا للأمر ثم سألتها أن تحضر أكواب العصير، ففعلت والحبور يملأها لوجودها بينهم.

«هل من شيء آخر؟» سألت بتينا ذلك بعد وضع الأكواب.

«لا. أوه، ليتك تساعدين شقيقك. يدعي معرفة اعداد الطعام، ولكنه يحرق اللحم كل مرة.»

ضحكت تريشا ومضت لتنضم إلى جوف في الفناء.

رمقها جوف بنظرة حادة قائلاً: «ارسلتك لتري ان كنت أحرقت اللحم، أليس كذلك؟»

ابتسمت بتينا وجوف، فهما يعرفان طباع احدهما الآخر. وجدت نفسها لوهلة تحسدهما على علاقتهما الرائعة. ولكنها ما كانت دوماً كذلك، تذكرت أن كيفن كان مريضاً في صغره، وعاودته نوبات التهاب الرئة مراراً. لكم قضيا معه ليال طويلة تكون نتيجتها الارهاق الذي يظهر في اليوم التالي.

والمستهجن في الأمر أن المتاعب كانت توطد علاقتهما الأسرية. زواج رويس وايفي كذلك أتى على داني بمرض الربو، وحتى والديها اللذين فرق ما بينهما موت أليس. لا أمان في الحياة، وهذا جل ما يخيفها.

«مرحباً يا عمتي تريشا.» قال كيفن واثباً من احدى زوايا المنزل ملطخ الوجه. «والدي، لم تحرق اللحم، أليس كذلك؟»

ضحكت تريشا، وبدت ضحكتها غريبة بعض الشيء فهي لم تضحك منذ كانت في ذلك المنزل مع رويس.

قال جوف متكدراً: «لا أتلقى سوى الذم من عائلتي هذه. ادخل وأخبر أمك إن كانت تظن نفسها أفضل فلتحضر... لا بأس، فهي تعتقد ذلك.»

أصر كيفن: «يمكنها تولي الأمر.»

حاول جوف امساكه ولكنه هرول مقهقهاً وهو يقول: «يستحسن ان ادخل لاغتسل، راقبيه يا عمتي تريشا.» ثم توارى عن الأنظار.

ابتسمت تريشا. لم يبق أي أثر لمرض كيفن السابق، فكرت لكم كانت تخيفها فكرة الاقتراب منه أثناء مرضه، ولكنها مؤخراً عادت للتقرب إليه.

تقرب يشبه إلى حد بعيد ذاك الذي بدأت تنمو براعمه

بينها وداني. التفت اليها جوف فجأة وسألها: «هل لمحت رويس مؤخراً؟»

«لم اره منذ كان في المتجر يوم الاربعاء، لم؟»

أجاب: «لم يكن على عادته هذا الاسبوع.»

«أوه؟» قالت تريشا وهي تهوي على احدى المقاعد مدعية الاهتمام بطير كان يطير في الخارج، ثم أضافت: «بأي معنى؟»

«كان... حاد الطباع، وغاضب من الجميع. أتساءل إن كنت على بينة من السبب؟»

نظرت تريشا إلى شقيقها، انه يتفحص تعابير وجهها بدقة. هل ينتظر ردة فعلها؟

أشاحت نظرها سريعاً قائلة: «هل سألته إن كان يعاني من أمر ما؟»

«ليس هذا من شأني.»

«ولا أنا أيضاً.»

حدجها جوف بنظرة متفحصة وقال: «حقاً؟ هيا يا شقيقتي، بإمكان أي كان التكهن بوجود شيء ما بينكما، وأنك قضيت معه الاجازة في ذلك المنزل.»

«لم تكن اجازة كاملة، يوم واحد ولم نكن معاً، حسناً، اعني كنا معاً نوعاً ما.»

عاد ليتفحصها ثم وضع اللحم فوق الصفيحة قائلاً: «ما دام الأمر كذلك، تعالي لنتناول الطعام.»

تفحصت بتينا اللحم بدقة وقالت لزوجها: «أعددتها جيداً.»

«أيمكنك حضور مباراتي مساء الغد يا عمتي تريشا؟»

سألها كيفن بعد ان تناول جرعة من كوب الحليب وتابع: «سأرمي الضربة الأولى.»

«حقاً؟»

قال مذكراً اياها: «أجل. لقد وعدتني بالحضور.»

وعدت بالقدوم، تذكرت ولكن رويس سيكون حاضراً.

«اذاً ستحضرين؟» لاحت فوق وجه كيفن علائم الاسى شأن داني يومها، فانقبض قلبها. لن يسعها الاخلال بوعدها.

قالت: «أجل يا كيفن سأحضر.» فتهلل وجه كيفن.

www.elromancia.com

الفصل التاسع

تململت تريشا في مقعدها، ان معرفتها بلعبة البيسبول تقارب معرفتها وخبرتها بالاطفال، ما جعلها في وضع مربك وسط صراخ الاهالي، كانت بتينا بقربها تهلل كالباقين حتى كادت تفقد صوتها.

«أنت معجبة حقاً بهذه اللعبة.» قالت تريشا ذلك وقد خف الضجيج.

نظرت اليها بتينا وقالت بحماس: «حتماً! ان لم نفز بهذه المباراة، فلن يسعنا الاشتراك بالنهائيات.»

«أوه، النهائيات.» واخيراً، هنالك ما يثير الاهتمام فكرت تريشا.

حاولت التركيز على المباراة ولكن نظرها ظل معلقاً برويس. انه مأخوذ باللعبة تماماً ويلقي بإرشاداته للاعبين.

راحت تراقبه وتذكرت اقواله عن عدم تمكنه من ممارسة الرياضة اثناء طفولته بسبب المرض، وكل هذا يدفعه لمضاعفة اهتمامه بداني.

«هل يتفهم آلامها كذلك؟ لكم اشتاقت اليه واشتاقت إلى ابتسامته الرائعة. اشتاقت إلى داني أيضاً، إلى ابتسامته العذبة ولشعوره بالأمان عندما امسك بيدها.

كادت تتغيب عن المباراة لعلمها بوجود رويس وداني، ولكنها وعدت كيفن ولا يسعها ان تخيب امله.

راحت بتينا تقفز فرحاً وقد احتضنتها: «ربحنا! ربحنا.»

وجدت نفسها داخل السعادة أيضاً وفرحت لانتصار داني وكيفن، وكل الفريق. وكان الفريق يحتفل بهذا الانتصار وسط الملعب، يتوسطه جوف ورويس.

«هيا بنا نهنئهم.» قالت بتينا ذلك وهي تجرها من ذراعها.

«لا، اذهبي انت.» اجابت تريشا وقد داخلها شك بمقدرتها على تهنئة رويس. لم تكن بتينا مصغية، ووجدت تريشا نفسها داخل الملعب. لمحها رويس وتوقف الوقت لبرهة شأنه كلما التقيا. كان تأثير المفاجأة بادياً على محياه وبوضوح.

في مباراة للاطفال.

فوجئت تريشا اذ رأته وقد توقف عن التهليل وراح يراقبها، اراد الفرار، ولكن لدى بتينا التي تجرها افكار أخرى.

اندفع كيفن باتجاه أمه وراح يمطرها باسئلة على غرار: «هل رأيتني؟» اما تريشا فقد ظلت وحيدة تتحمل نظرات رويس اليها.

قال لها: «مرحباً.»

شعرت وكأنهما وحيدين في الملعب. الهتافات والاصوات بدت بعيدة صامتة.

قالت تريشا بتلعثم باد: «لعب داني بمهارة... انا... لاحظت...»

لكنه لم يجب، فقد كان في عينيه اشياء غامضة.

كاد رويس ان يقول شيئاً ما، عندما ظهر كيفن فجأة وهو يصيح: «لقد ربحنا عمتي تريش.»

كان داني يثب فرحاً أيضاً انما ببعض الخجل، إلى ان ابتسمت له تريشا فقال لها: «هل راقبتنا اثناء اللعب؟»

أجابته: «طبعاً، رأيتكما واظن انكما افضل لاعبين في الفريق.»

طفح وجه داني بالبشر، ففكر رويس، لكم ينسى الاطفال الاساءة سريعاً، اما الراشدون فمن الصعب جداً ان ينسوا.

واخذ يتساءل، ما الذي جاء بها؟ لم اتت؟

تكلم الفتيان بنفس الوقت وراحا يستعرضان المباراة بأدق تفاصيلها. اصغت تريشا باهتمام ثم نظرت إلى رويس، انها تعلم انه يتحتم عليها مخاطبته رغم النفور الناشىء ما بينهما، وان لم تفعل الليلة فستفقد الفرصة وللابد.

سألته: «الديك مشاريع لما بعد المباراة؟»

تساءل: «لم؟»

انا... فكرت بدعوتك وداني لتناول البيتزا.»

«لم؟» كرر السؤال ببرودة اكبر.

اجابت بتردد: «انا...»

«بيتزا! اجل!» هتف داني وقد سر بالدعوة.

قالت بتلعثم: «اعتبره احتفالاً بانتصار داني العظيم.»

راح رويس ينقل النظر ما بين ابنه وبينها بدهشة وتساؤل.

«ينبغي ان نتحادث يا رويس، اريد شرح الأمر.»

لمح رويس في عينيها الرجاء، فعجز عن الرفض، ثمة ما يثقل كاهلها.

قال موافقاً: «حسناً، أجل.»

هتف داني ثم نظر اليها قائلاً: «هل بامكان كيفن الحضور أيضاً؟»

نظرت إلى وجه داني وقد ملأه الامل، ارادت فرصة للتحدث مع رويس ولكن ليس باستطاعتها ان تخيب امل داني للمرة الثانية.

• • •

كان مطعم ايدي للبيتزا يضج بالحركة والجلبة، وحصل نقاش حول اضافة الزيتون الاسود إلى البيتزا، فداني يحبه اما كيفن فيفضل الجبنة بدلاً منه.

اقترح عليهم جعل نصف البيتزا بالجبنة والنصف الآخر بالزيتون، وقد لقي اقتراحه الارتياح لدى الطرفين، كانت تريشا لتأكل أي شيء في تلك الحالة من الاضطراب، اما رويس فكان هادئاً وقد سلمها زمام المناقشة. انها تجهل عما يهوى التحدث به ابن السبع سنوات فيما يمضغ البيتزا، الحزازير ربما، فالاطفال يحبون ذلك، ولكنها تذكرت انها لا تجيدها بالشكل اللازم.

كانت نظراته لا تحيد عنها، مما زاد من ارتباكها واعتقادها بانها قد اخطأت بتلك الدعوة، ولكنه سرعان ما راح يضحك ويعطي الاجوبة الصحيحة للحزازير. ما ان بدأت تريشا تشعر بشيء من الراحة، حتى فاجأهم داني بسكب محتوى كوبه من الكولا فوق البيتزا. تسارع الجميع لالتقاط المحارم الورقية، وفي هذه الاثناء سكب كيفن بدوره محتوى كوبه، الأمر الذي اسعد الولدين ثم اخذ الاثنان

يضحكان عالياً. طلب رويس محارم اضافية وراح ينظف الطاولة بهدوء.

سألته فيما عمد إلى ازاحة البيتزا المبللة وطلب واحدة أخرى: «كيف يتدبر الاهالي امورهم؟»

ابتسم وقال: «لم تري بعد سوى الجزء اليسير.»

اقرت تريشا بالأمر، فهي تظن ان الاولاد فوضويون جداً.

قرر الولدان اطالة السهرة، وكأنهما لم يكتفيا بمباراة البيسبول وتناول البيتزا اذ فاجأهما داني بطلب اذن لكيفن لأن يمضي الليلة معه في الخيمة. اتصال سريع بجوف وتقرر الأمر، غادروا وتريشا واثقة بأن ايدي، صاحب المطعم قد سر جداً بانصرافهم.

استقبلتهم كورا على المدخل، انها مدبرة منزل رويس وهي امرأة مسنة وتبدو في نظر الجميع كالجدة المثالية. قام رويس بمهمة التعارف ما بينهما، وقادت كورا الجميع إلى الداخل.

هتف الولدان معاً: «ربحنا يا كورا.»

«رائع، ولكن هل كان عليكما احضار الملعب معكما؟ انظروا إلى تلك الاوساخ، وبقع صلصة البيتزا على ثيابكما.»

افادها رويس: «بيتزا وكولا معاً.»

دفعت كورا بالولدين وقالت: «هيا، حان وقت النظافة.»

احست تريشا بالارتياح لانصرافهم فهي حتى الساعة لم تتمكن من الانفراد بالحديث مع برويس، لكنها الآن تشعر بالتوتر وقد باتا بمفردهما.

تنهدت بعمق وراحت تستطلع معالم منزله الانيق، غرفة

تلو الاخرى ووجدت في احدى الزوايا موقداً ضخماً. لقد علقت السجادات الهندية على الجدران، كما وضعت على الارائك مضفية على المكان جواً حالماً.

شاهد رويس ابتسامة التقدير على وجهها، فقال: «بنيته بعيد وصولي إلى دنفر، ستة اشهر في كولورادو سبقت قراري بالتمركز هنا، والآن بوجود داني فقد تم ما اردته.»

سيكون المنزل اكثر كمالاً بوجود امرأة فيه، وهذا ما يعرفه جيداً، انما الغريب في الأمر، انه لم يفكر بذلك قبل مجيء تريشا إلى منزله. سرعان ما طرد هذه الفكرة من رأسه، فتريشا ليست بالزوجة المناسبة بالنسبة اليه.

كانت على اتم وفاق مع داني طوال السهرة، ويبدو انه نسي جفاءها له خلال الاسبوع المنصرم. احس رويس بارتباكها بالرغم من ضحكاتها وابتساماتها، ربما تكون الاكواب المسكوبة هي السبب، انه لا يدري.

تذكر انها ارادت محادثته، ارادت شرح الأمور، ربما حان الوقت للشرح.

«كورا تحتفظ دوماً بابريق القهوة ساخناً، هل ترغبين بشيء منها؟»

«اجل، شكراً.» اجابت وهي تتبعه إلى المطبخ، وقد اعجبها كونه نظيف ويغلب عليه اللونين الاصفر والذهبي. سكب رويس فنجاناً لكل منهما ثم سار امامها نحو حديقته التابعة لفناء شاسع يمتد لاميال عديدة. وقد استرعى انتباه تريشا خيمة اقيمت في احدى اطراف الفناء.

قال رويس: «يحب كثيراً نصب الخيم، وقد حرم منه في شيكاغو.»

«لا يطيق الابتعاد عن كيفن، على ما يبدو.»

ضحك رويس وقال: «اجل، كيفن صديقه الأول هنا، وكانت صداقتهما عوناً كبيراً لداني.»

خرج الولدان بعد فترة وجيزة من الخيمة يحملان البطانيات والوسائد واكياس البطاطا والحلوى.

سأله داني بألم وقد راعه وجودهما: «أبي، لن تمضي ليلتك هنا تراقبنا وكاننا طفلين صغيرين، اليس كذلك؟»

«ابداً، سيكون عليك الدفاع عن نفسك من الذئاب. كنت فقط اتناول القهوة برفقة تريشا... ونتحادث.»

كان لكلامه وقع مريح على داني الذي سرعان ما تمنى لهما ليلة سعيدة ثم هرع ومعه كيفن إلى داخل الخيمة.

قال رويس ملتفتاً اليها: «اردت التحدث، على ما اعتقد.»

تمنت تريشا لو انها حادثته في مكتبها ذاك اليوم، رغم النفور الذي بدا منه.

«اجل.» اجابت وكان في انتظار كلامها، لكنها راحت تحدق بالفراشات وكانها تعدها.

قال وقد طال انتظاره: «اسمعي يا تريشا ليس عليك تبرير الأمر.»

كان يجهل تماماً ما قد تقوله، وأردف: «افهم ان الاولاد يشعرونك بالارتباك، وانك لا تحبذين التواجد بينهم. اقر انني في البدء تألمت، ظناً مني انك لا تحبين داني، ولكن في الحقيقة انت لا تحبين الاولاد ككل.»

التفتت تريشا لتواجهه وقالت: «ما ذكرته صحيح كلياً، يا رويس ماكنزي.»

لم يرها رويس غاضبة بهذا الشكل من قبل، ولا حتى مثل ذلك اليوم الذي اقتحمت فيه مكتبه تشكو من رجاله.

«لدي ابن وهذا ما يعقد الأمور ما بيننا، فلندع الأمور على حالها.»

«اهذا ما تريده؟» لم تلتق تريشا برجل يملك عناده هذا.

تنهد بحرقة قائلاً: «اجل.»

انتابها ألم مفاجيء، انه لا يريدها وقد فات الأوان بينهما على كل شيء، ربما فات قبل الآن بكثير..

حاولت الوقوف بغية الانصراف ولكنها لم تستطع. ان رويس يرفضها ويرفض صداقتها، وعليها التاقلم مع هذا الواقع ولكنها لن تتاقلم مع الحزن الذي رأته في عيني داني ذاك اليوم وبسببها.

قالت بهدوء: «سأشرح الأمر لداني»

قال رويس وقد وثب على قدميه: «لا اريده ان يتأذى ثانية.»

حدجته بنظرة ثاقبة قائلة: «لن اسبب له أي أذى، اريده ان يعلم انني اهتم بأمره لقد اصبحنا صديقين وانا اعتز بصداقته، ولا زلت.»

«ولكنك تظهرين الأمر بشكل مستهجن يا سيدتي.»

احتقن وجه تريشا لكنها ادركت انها تستحق ذلك. لم تشح بوجهها وعادت لتقول: «اريد اطلاع داني على الأمر.»

تنهد رويس وقال: «عليك اولاً ان تشرحي لي.»

حدقت اليه لوهلة ثم قالت: «هذا ما احاول القيام به.»

اشار إليها بالجلوس، ولكنها فضلت البقاء واقفة

وراحت تتكلم بصوت مرتجف: «كنت محقاً بشأن أمر واحد، الأولاد يسببون لي الارتباك ولكنك مخطىء كلياً بشأن الباقي، احب الأولاد جداً، واحب داني انه لطيف جداً و... ولكنه حساس جداً.»

رفعت اليه عينيها فرأى الدموع تغشاهما، انها تتألم وعليه ان يتبين السبب. فقال بهدوء: «هيا، اكملي.»

تنهدت بحرقة وقالت: «ذاك اليوم في المنزل عندما طلب داني البقاء معي، خفت ان ادعه... خفت ان اتولى مسؤوليته أو مسؤولية أي ولد.»

اضافت وهي تبتعد عنه: «ذات يوم، منذ وقت بعيد، توليت رعاية شقيقتي الصغرى، تعهدت امام امي بالمحافظة عليها. كنا... كنا نلعب امام المنزل ولكنني كنت مهتمة اكثر باللعبة التي تلقيتها كهدية في ذكرى مولدي.

صنعت أمي للعبتي الملابس الكثيرة، بينما لم اكن اراقب اليس.»

استدارت نحوه والألم باد بوضوح على وجهها ثم تابعت: «لقد... جرت إلى الشارع وفجأة ظهرت سيارة... دهستها... ماتت بعد فترة وجيزة.»

«تريش، لم اكن اعرف.»

«كانت غلطتي.»

«لم تكن غلطتك.»

انه الآن يدرك السر.

كانت مقتنعة تماماً بانها السبب بموت أليس، وان الأمر قد يتكرر مع أي ولد، وربما مع داني. لذا ابعدته عنها، لكم

كان احمقاً وهو يعتبر انه قد تفهم ابعاد تصرفاتها ولكنه كان مخطئاً كلياً.

• • •

قال رويس وقد رأى داني مندفعاً خارج الخيمة بحثاً عن الهيكل العظمي للديناصور: «انه بعيد كل البعد عن هذا المكان، على اية حال، لا تقلق، فوالده يهتم بأمر البحث عنه.»

ضحكت تريشا لكلام رويس. علاقتها بداني كانت ممتازة واستمرت كذلك حتى احتضانها اياه. انها تشعر الآن بتحسن وقد سوت الخلاف الذي كان سائداً.

كانوا يمضون فترة بعد الظهر في المتحف، وكان داني يجري متنقلاً بين منحوتة وأخرى. انها لا تجيد محادثة ابن السبع سنوات، ولكنها ارتأت ترك الأمر للزمن، ومن شأن داني ان يتفهم يوماً ان سبب رفضها لبقائه معها في ذلك المنزل يكمن فيها وليس فيه.

سألت: «اتظنه سيتفهم الأمر؟»

أجاب مبتسماً: «اظنه يتفهم كونك امرأة مميزة، وهو محظوظ لانك تهتمين بأمره، انا أيضاً محظوظ واشكر قدومك معنا هذا اليوم.»

«ما كان بمقدورك منعي.»

«اوه، اتحبين رؤية عظام الديناصور؟»

«جداً.»

«لماذا يخيل إلي ان الأمور يكتنفها ما هو اعظم؟»

ضحكت تريشا وقالت: «يستحسن ان نعرف مكان وجود داني.»

«اظنك محقة.»

بعد زيارتهم للمتحف، مروا للتفرج على الكلاب التشيلية وكان داني يعيد سرد ما شاهده بعد الظهر، وادركت تريشا أنها لم تر عشر ما رآه.

وضعت اللوم في ذلك على رويس الذي شغل وقتها وافكارها.

لكم سرت بتمضية هذا اليوم معه ومع داني. حاولت ان لا تفكر بالمستقبل ولا بالماضي، مقررة التمتع باللحظات الحالية فقط.

انتهى داني من تناول كوب الكولا وبلا حوادث هذه المرة ومروا بالمتجر بغية الاطلاع على سير الاعمال. كان يوم عطلة رويس، وقد شارفت عطلتها على الانتهاء هي أيضاً، يفترض بالاعمال ان تنتهي يوم الاثنين. وستعاود فتح متجرها مع عودة لوسي.

ولو لاحظ العمال الألفة التي تضم هؤلاء الثلاثة، لما تجرأوا على ابداء تعليقاتهم امام رئيسهم، حتى ان ويزل احسن التصرف، ولكن تريشا واثقة انها ستسمع اكثر من شكوى عنه يوم الاثنين.

سألها رويس وهو يلوح بيده: «ما رأيك؟ هل اعجبتك النتيجة؟»

تعلم انه فخور بالذي انجزه، وهي بالكاد تصدق ان ثمة جدار كان قائماً في المكان الذي يشكل الآن مركزاً حيوياً للصالة الأرضية. فقالت: «انها جميلة، ما توقعت غير ذلك لثقتي بمهارتك.»

مرت الاسابيع اللاحقة بلمح البصر. امضت تريشا برفقة

رويس وداني اوقاتاً حلوة، دعوات إلى الطعام في حديقة رويس الواسعة، مباريات بيسبول مع داني وكيفن، رحلات إلى المنتزه وحتى من اجل تنظيف مرآب تريشا يوم الاحد. لم تطلب العون انما رويس اصر على ان يشترك الجميع كي تنتهي هذه العملية سريعاً، وهكذا يمكنهم تناول البيتزا بعدها.

لم يخطر على بال تريشا انها ستضطر لدخول مطعم ايدي ثانية، ولكنها بعد الممانعة رضخت لإصرار رويس وداني وامضوا جميعاً ليلة ممتعة.

كل يوم يمر عليها مع رويس يزيدها املاً بنسيان الماضي وطي صفحته بما فيه من مخاوف وآلام. عاودتها فكرة كانت تراودها في صغرها، وهي ان تمنت شيئاً لنفسها، فسيكون لها حتماً.

انتهت الاعمال في المتجر، وهي تفكر بمعية لوسي بتحديد يوم الافتتاح الكبير احتفاء بالمناسبة.

انهما الليلة يتناولان العشاء لدى بتينا وجوف.

«انتما تؤلفان ثنائياً رائعاً.» قالت بتينا وهي تهم باعداد السلطة. ثم تابعت: «جوف سيتباحث بالأمر مع رويس.»

قالت تريشا وقد اتسعت عيناها جزعاً: «ليس عليه ذلك. اعني انه شقيقي الأكبر ولكن...»

قالت بتينا بسرور: «اذاً الأمر جدي.»

«ليس الأمر كذلك، اعني لم نناقش... بتينا، لا تتدخلي انت أو جوف. انا احبكما، ولكن اقسم ان قلتما أو فعلتما شيئاً فسوف...»

قالت بتينا وقد استولى عليها الحماس: «انت واقعة في حبه!»

«قد يسمعك.» كان الرجلان في غرفة الجلوس وتريشا واثقة انهما مصغيان إلى الحوار الدائر في المطبخ.

«تعنين انك لم تخبريه بعد؟»

«لا! فأنا بالكاد اتقبل الأمر. ناهيك عن كون رويس لم يبح لي بحبه حتى الآن.»

«ليس عليه ذلك، فالحب باد بوضوح في عينيه.»

رمقتها تريشا بنظرة مرتابة وقالت: «ان ما ترينه في عينيه ليس الحب، صحيح اننا نستمتع بأوقاتنا معاً... وانني اتفق كلياً مع داني ولكن هذا لا يعني...»

اجابت بتينا: «لاحظت ذلك أيضاً.»

قالت تريشا وهي تقطع ثمرة الكيوي للسلطة: «لاحظت ماذا أيضاً؟»

قالت وقد اتسعت ابتسامتها: «كم تتفقان انت وداني. تبدين بأحسن حال مع الفتى، كل شيء يسير على ما يرام ولكن لا بأس بمباحثة جوف لرويس في الموضوع.»

اجابت تريشا ملوحة بملعقة السلطة: «لا مباحثة اخوية ولا شيء.»

قطبت بتينا حاجبيها قائلة: «تمتعي قدر ما تستطيعين.»

دخل عندها رويس متسائلاً: «أية متعة؟»

صوبت تريشا نحو بتينا نظرة تحذير فما كان من هذه الاخيرة سوى ان حملت طبق السلطة واتجهت نحو غرفة الطعام قائلة: «سأترك لتريشا مهمة اخبارك.»

سألها: «بما كنتما تتحادثان؟»

«لا شيء، مجرد حديث فتيات. لا شيء قد يثير اهتمامك.»

«كل شيء فيك يهمني.»

فتساءلت بينها وبين نفسها، هل ستبقى الأمور هكذا على الدوام؟

انه يريد تريشا له، وإلى الأبد، لم يكن واثقاً من أي شيء في حياته كما هو الآن، ولكنه يعلم ان تريشا تحتاج للوقت لتتجاوز خوفها من المسؤولية، ولقبول داني، لتغدو جزءاً من حياتهما، ومن حياته.

www.elromancia.com

الفصل العاشر

سألت تريشا: «أمستعد انت للانصراف، يا داني؟»

أجاب داني: «مستعد.»

حملت قبعة رعاة البقر وركزتها فوق رأسه قائلة: «ما بنا سنحضر مباراة الروديو فعلينا أن نرتدي الزي المناسب.»

«تبدوان بالشكل المناسب.» أضاف رويس وهو ينهض من وراء مكتبه لينضم إليهما. كان يفترض أن يكونوا جميعاً معاً، ولكنه ارتبط بموعد عمل، ولكم تمنى لو رافقهما عندما رأى تريشا وقد ازداد جمالها بملابس الروديو.

راح يتأملها بنظرات كلها حب، كانت سترتها من طراز رعاة البقر، فقال في نفسه: «أنت معتوه يا رويس كي تترك امرأة مماثلة تغيب عن عينيك!»

«ربما ينبغي أن أعتذر لأصحاب الموعد وأرافقكما، لا أريد أن يفوتني شيئاً من هذه المباريات المشوقة.»

أجابت تريشا: «انه يومي مع داني، أتذكر؟»

تذكر رويس أنها عرضت عليه اصطحاب داني إلى الروديو فيما يذهب هو إلى موعده. كانت فرحة رويس لا توصف وهو يرى أعز شخصين على قلبه يتفقان بهذا الشكل، وأسعده كذلك أن يرى تريشا وهي تخوض غمار تجربتها الأولى بكل جرأة وحماس.

«نحن منصرفان.»

حمل رويس ابنه داني واحتضنه بحنان وكذلك فعلت تريشا. انهم يؤلفون عائلة متكاملة.

«عليكما الانصراف حالاً، وإلا فاتكما مشهد مهرجي الروديو.» قال رويس بصوت أجش ثم قبّل داني.

كان المهرجون هم الجزء الافضل في المهرجان، ولكن داني اعجب بمصارعة الثيران ولامتطاء برهمان المميّز للثور المتوحش. خلال جولة بعد الظهر التهم سندويش لحمة وقطعة حلوى زرقاء وزهرية اللون.

كيف عساك ترفض طلباً لطفل؟ تساءلت تريشا، وصممت على طرح بضعة أسئلة على بتينا في لقائها المقبل معها. هنالك الكثير ما تود الاطلاع عليه فيما يتعلق بالاطفال.

حصلا على مقعدين قريبين من المنصة ليتمكن داني من الرؤية بوضوح، ولكن هذا لم يكن كافياً بالنسبة إليه. أراد رؤية المكان الذي يحفظون فيه بالحيوانات، لذا وبعد انتهاء المباراة قصدا الفناء الشاسع الذي شيدت فيه الحظائر.

قال داني: «هذا مسل، أيمكننا المجيء إلى هنا ثانية؟»

«لست أرى أي مانع.» أجابت وهي لا تجرؤ على الرفض. تساءلت متى تكون تلبية طلب الطفل بمثابة افساد له، سؤال آخر اضافته إلى الأسئلة التي ستطرحها على بتينا، ثم قالت: «سنحضر والدك معنا في المرة المقبلة.»

• • •

كانت في طريقها إلى المنزل عندما ابتدأ الأمر.

لقد بدأ يمتقع لون وجهه.

كان يتحدث عما رآه بسعادة ما بعدها سعادة، عندما

اجتاحته فجأة نوبة الربو. كانت وحيدة معه، فكورا في اجازة ورويس لا يزال في مكتبه. داني مسؤوليتها الآن، عليها أن تحتفظ بهدوئها من أجله، بينما أخذ هو ينظر إليها بعينين مذعورتين طالباً العون.

شحب وجهه، أما وجنتاه فقد احتقنتا بالدماء وكذلك شفتيه. كم طال عليه الوقت وهو بهذه الحال؟ أكان بوسعها الحؤول دون هذه الأزمة لو أنها كانت أكثر انتباهاً؟

الوقت لا يسمح لها بأن تلوم نفسها، فقد بدا داني ضئيلاً ومرتاعاً. صدره في صعود وهبوط وبشكل مخيف، عليها التصرف. أدركت أنها لو لم تحصل على المساعدة، فستعرض حياة داني للخطر.

الدواء. أخبرها رويس ذات مرة عن أدوية داني. أسرعت إلى المطبخ علها تجدها. لو حصل مكروه لداني فلن تسامح نفسها بتاتاً.

وجدت الدواء على الرف الذي ذكره رويس. زجاجتان فيهما سائل ما، ولكن ما عساها تعطيه؟

لمحت جدولاً دونته كورا. كيفية التصرف في الحالات الطارئة. لا بد وأنها دوّنت الحالات المماثلة هذه.

والحالة الآن طارئة.

عادت إلى داني وبيدين مرتعشتين حاولت أن تفرغ بعض السائل في حلق داني فقال بصوت مرتجف وقد أخذه منها بشجاعة: «أعرف... كيفية استعماله. الطبيب... علمني.»

أمسكت تريشا بالهاتف تريد الاتصال برويس.

لقد ظننت أنها ستقوى على المحافظة على داني، ولكنها

أخطأت. الصغار سريعي الانهيار، ألم يكفها درس مرير سابق؟

«تريشا... أنا.»

«لا عليك، اهدأ.»

سحبت الهاتف إلى حيث كان يستلقي، ثم وضعت الوسادة تحت رأسه، على الاقل تجيد القيام بذلك ولكن كان هذا اقصى ما لديها من خبرة طبية، فهي حتى لا تملك الخبرة الاسرية.

طلبت رقم رويس وجاءها الرد بأنه غير موجود حالياً، وأكد لها المجيب أنه سيعمل على الاتصال بها لاحقاً.

عندما عادت ونظرت إلى داني تأكد لها أنه لن يسعها انتظار مكالمة رويس. الصفير الحاد المنطلق من صدر داني اشارة واضحة لكون الدواء لم يعط أية نتيجة. انها لا تملك خيارات أخرى، والوقت يمر سريعاً.

اتصلت مجدداً برويس وتركت رسالة تعلمه فيها أنها ستلتقيه في المستشفى. حملت داني بين ذراعيها واتجهت به إلى سيارتها.

«اينبغي علي دخول المستشفى؟» سألها بقلق فيما ربطت تريشا حوله حزام الامان.

«سأكون هناك معك يا داني ووالدك في طريقه إلينا.» هذا ما تأمله على الاقل، وتابعت: «سيساعدك الاطباء على التنفس بشكل أفضل، والآن احتفظ بالهدوء. أيمكنك ذلك من أجلي؟»

خيل اليها أنه ابتسم لها، وكانت ابتسامته بمثابة الامل الذي شجعها علي القيادة.

ينبغي أن يتحسن.

كان ضئيل الحجم، ويرتعش بخوف.

أعساه لم يحتمل مجهود الروديو؟ ربما كان الغبار سبب الأزمة أو طعام ما؟ راحت تسترجع يومها معاً لتتأكد ان كانت قد أقدمت على ما سبب أزمته.

انتزعت الممرضات داني من بين يديها، ظل ممسكاً بيدها فيما وضعوه فوق العربة واتجهوا به نحو قسم الطوارىء.

بقيت تريشا تنظر إليه إلى أن توارى عن الأنظار. أحست بالوحدة والخوف. تذكرت مستشفى آخر دخلته منذ أعوام بعيدة، لم يسمح لها أيضاً بدخول تلك الغرفة ورؤية جثة شقيقتها أليس.

جلست تريشا في زاوية من الرواق الموحش ترتجف من الخوف ومن الشعور بالذنب. ذنب تعاظم عندما فتحت الابواب لتطل منها وجوهاً واجمة جامدة. لم يحادثها أحد، حتى والديها فقد تغلبت عليهما مصيبتهما حتى أنهما لم يلحظا الفتاة الصغيرة التي تنوح في الزاوية بصمت.

وحده جوف كلمها، وحاول تهدئة روعها. كانت طفلة بدون تعزية، طفلة لا تستحق الرحمة.

ظهر رويس في هذه اللحظة وسألها: «أين هو؟ أهو بخير؟»

كان شاحب الوجه، والخوف يملأ عينيه فقالت تريشا: «لا تتركني وحدي مع مخاوفي وشعوري بالذنب. إنه في الداخل، والاطباء معه. لم يسمحوا لي بالدخول.» وشعرت بالبرد من شدة خوفها.

«علي رؤيته.» قال وهو يجتاز الباب مغادراً غرفة الانتظار. راقبته ينصرف فانكمشت على نفسها أكثر. أترى الدفء يعود إليها ثانية؟ مرت فترة كأنها أعوام قبل عودة رويس. كان مقطب الحاجبين فسألته: «ليس... أعني... أهو...؟»

«بخير؟ أجل. سيبقونه هنا الليلة.»

«رويس، إني آسفة. كان علي أن أكون أكثر حرصاً.»

قاطعها قائلاً: «لا. انها ليست غلطتك. عزا الاطباء السبب إلى الغبار الذي سببه جموح الثيران. يفترض أن ألوم نفسي كوني اقترحت عليه حضور الروديو. كان في حالة ممتازة مؤخراً.»

تنهد ثانية ودنت منه تريشا، فقال: «شكراً لوجودك، ولردة فعلك السريعة.»

لم تسمع تريشا الكلمات الأخيرة، فقد امتلأ قلبها بالآلام، بقدر ما تحب رويس بقدر ما تريد الابتعاد عنه، وبقدر ما تحبه تتمنى عدم التعلق بابنه. قد تعجز في المرات التالية عن انقاذ داني فتفقده وتفقد بالتالي رويس وهذا ما لن تقوى على احتماله.

أحس رويس بالتبديل المفاجىء الذي اعتراها. لقد قرأ الخوف في وجهها ساعة دخوله من الباب، وأدرك أنها تلوم نفسها وبلا سبب لم تكن هي السبب. لقد عمدت إلى انقاذ ابنه بوجودها وتصرفها السليم والسريع.

يعلم كم كلفها هذا، فقال هامساً: «كنت تفكرين بأليس.»

طال صمتها ولكن سرعان ما انفجرت بالبكاء. كان العذاب واضحاً على وجهها، والكآبة بادية في عينيها

المبللتين بالدموع. كان عازم على طلب يدها الليلة، ولكن كيف عساه يفعل وهو يعلم أن ابنه معرض لنوبات لاحقة؟ إنه يحبها، ولكنه يخشى أن يجعلها تعاني من مخاوفها وكوابيسها مجدداً. لن يستطيع الطلب منها أن تعيش مع طفل عانت من مرضه هذه الليلة.

اجتاحته موجة عارمة من الحزن، تمنى لو استطاع دحرها وتحدي الظروف القاسية التي تقف في طريق سعادته.

كانت الامور تسير بشكل ممتاز، وظن أنه وجد السعادة المنشودة ولكنه تلقى الليلة جرعة مريرة من الواقع الأليم.

بللت الدموع عيني تريشا وهي منصرفة بسيارتها، فهي لم تواجه آلاماً اعظم من هذه، انها تحب رويس ولكن ما حدث لا دخل لها به.

ألقت نظرة سريعة على داني قبيل انصرافها، وكانت قد أعطته دباً أحضرته من متجر الالعاب قبل أن يتم نقله إلى الغرفة. منحها ابتسامة زادت من عذابها الذي تعاني منه بسبب رويس، من أجل ما كان ملكها، وفقدته.

مرت بكفها فوق وجهها تمسح الدموع المنهمرة التي ترفض التوقف.

أمضى رويس ليلته مع داني، ولكن غداً سيعودون إلى سابق عهدهم ولكن خامرها شك في كونها ستتمكن من اعادة الامور إلى ما كانت عليه. بدأ المطر يتساقط برذاذ خفيف. وفي الصباح كانت الطرقات رطبة نظيفة بفعل الامطار.

يوم جديد.

بداية جديدة.

انتهت هذه الليلة على شيء ما، شيء رائع. جاءت الامطار في الوقت المناسب، ولكن تريشا تمنتها اعصاراً كي تمحو حب رويس من قلبها، لكنها كانت تعلم أن اعاصير العالم بأسره، لن تقوى على محو حبه من حياتها... وذكرياتها.

وصلت منزلها أخيراً، وعندما نزلت من السيارة استرعى انتباهها وجود قبعة داني على الارض فانحنت لتلتقطها ثم راحت تبللها بدموع امتزجت بمياه الأمطار المتساقطة.

لا تعلم كم طالت وقفتها مع الآلام والذكريات، لكنها وقد دخلت منزلها أحست ببرد قارس. وضعت القبعة على الطاولة وفكرت انها ستعيدها إلى رويس ذات يوم، حيث تكون آلامها قد خفت.

ارتدت ثوبها على عجل، الثوب الذي تمقته إذ ارتدته في ذلك المنزل، وتمنت أن تحصل على بعض الدفء منه. عادت إليها الذكريات فقررت أن تبقيها الليلة علها تثير في نفسها الدفء، وغداً ستطردها من حياتها... وإلى الأبد.

حاول رويس التمدد على مقعده بجانب سرير داني علّه يحظى بفترة من النوم، ولكن عبثاً. قام من مكانه وأخذ يذرع الغرفة جيئة وذهاباً.

متى بدأت تمطر؟ اتجه نحو النافذة وراح يراقب موقف السيارات، وتمنى أن تكون تريشا قد غادرت قبل هطول الأمطار، إذ رأى سيارة تغادر الموقف.

من الطبيعي أن يصيبه القلق حيالها، وتمنى أن تكون الآن بأمان. حتى ولو لم يعودا يلتقيان، فستكون حتماً في قلبه.

«تباً.» قال وقد ضرب زجاج النافذة بيده. لما يعانده الحظ؟

استدار ليلقي نظرة على داني، فوجده ينام ملء جفونه وقد ضم إلى صدره دب تريشا. كانت أنفاسه ثقيلة بعض الشيء بالرغم من العلاج إنما الصفير الحاد توقف، فتمكن من النوم.

أبعد رويس خصلة من شعر داني وهمس بحنان: «لم يعد هنالك سوانا.»

كيف عساه يبرر غياب تريشا؟ لم يكن يبحث عن ام لابنه أو عن امرأة له، فقد دخلت تريشا حياتهما صدفة، والآن كيف عساه أن يحيا بدونها؟ عمد إلى تغطية داني جيداً، يعلم أن ضلوعه الصغيرة ستؤلمه غداً. لقد عانى هذه الآلام في صغره ويعرف كنهها.

عاد إلى مقعد الآلام وحاول النوم مجدداً، ولكن النعاس عانده، وتوقع أن يدوم هذا الوضع لليال عدة قادمة.

الفصل الحادي عشر

توقفت تريشا عن البكاء، علماً ان دموعها كانت لتنهمر دائماً ولأتفه الاسباب، وكان قلبها مثقلاً بالآلام والاحزان.

سألت تريشا: «هل وضعت الأسعار على الستارات للافتتاح الكبير؟»

رفعت لوسي نظرها عن الواجهة التي تقوم بتنظيفها وأجابت بتهكم:

«اجل، ايتها الرئيسة.»

لم تلحظ تريشا بل اردفت: «وماذا بشأن كومة الاثواب تلك؟»

«انتهى امرها.»

«تشكيلة الملابس الحديثة؟»

اجابت لوسي بحدة: «هذا يكفي، تعلمين جيداً ان كل قطعة في المتجر قد اعيد توضيبها. لو تأخرنا اكثر، ستفقد البضاعة قيمتها. ما بك، يا تريشا؟»

«لا شيء البتة.»

«لكن لما كل هذا القلق؟»

«اريد ان نكون بكامل جهوزيتنا يوم الافتتاح، هذا كل شيء.»

دارت لوسي حول الواجهة ودنت من تريشا قائلة: «اتعلمين، عندما كنت في زيارة أمي سألتني ان كنت سعيدة

في عملي، فاجبتها بالايجاب كوني اعتبر نفسي اعمل لصديقة، والصديقات يتقاسمن الأفراح والاتراح.»

تنهدت تريشا وأجابت: «اعلم، يا لوسي، ولكنني لو ناقشت الأمر، أو حتى فكرت فيه، فسأبكي.»

وضعت لوسي ذراعيها فوق منكبي تريشا وقالت: «إلى هذا الحد؟»

«اخشى ذلك. هذا هو سبب توتري اليوم، واعتذر ان كنت قد اسأت اليك.»

«ربما يستحسن ان تناقشي الموضوع.»

اجابت تريشا مبتسمة للوسي: «الكلام لن يبدل شيئاً. احتاج لإغراق نفسي في الافتتاح... ولمتابعة حياتي. المتجر كان هدفي الاوحد والآن وقد تمت التحسينات...»

قطعت حديثها لتشير إلى المساحة التي تم اعدادها مؤخراً.

هل سيمكنها رؤيتها دون التفكير برويس؟ باليوم الذي وضع فيه ورق الجدران؟ كان المتجر بمثابة مشروع عمره، وقد ترك فيه جزءاً منه.

تساءلت لوسي: «هل سيكون هذا المكان كافياً للسنوات القادمة؟» لن يقيك برد دنفر، انه جميل ولكنه مجرد متجر يا تريشا.»

«يستحسن ان اتفقد قالب الحلوى المعد للافتتاح.» قالت تريشا وتوجهت نحو مكتبها الذي اشرف رويس على تجديد معالمه.

لقد شارك في بناء اماكن عدة، لكنها لن تجعل ذكرياتها تفسد فرحتها بمكتبها الجديد. رفعت السماعة لتجري

اتصالاً تستطلع فيه عن مصير قالب الحلوى الذي طلبته. ولكن لوسي قامت بالمهمة ولم يعد امامها ما تفعله.

امسكت بالسماعة مجدداً، عليها ان تتطمئن عن داني بعد تلك الليلة الرهيبة. اجاب رويس بعد الرنين الثالث.

قالت: «مرحباً.»

«اهلاً.» اجاب بعد استراحة قصيرة. لم يكن استعدادها كافياً للمخابرة، فقالت وقد تبللت جفونها بالدموع: «انا... اردت الاطمئنان على داني.»

استراحة قصيرة اخرى تلت ذلك ليقول بعدها: «انه بخير، احضرته إلى البيت منذ فترة وجيزة وكورا تعتني به كثيراً، لدرجة انها ستفسد اخلاقه.»

«قبلاتي له.»

اتودين محادثته، سانادیه لك.»

لم تتردد تريشا وقالت: «لا داعي لذلك... بلغه سلامي.»

«تريشا؟»

«ماذا؟»

«لا اظنك تلومين نفسك على الذي حدث، اليس كذلك؟»

«الوم نفسي؟ رويس، لست خبيرة في شؤون الاطفال. اكره ان اتعرض يوماً ما لوضع يؤدي بي إلى لوم نفسي في حال تعرض داني لأي مكروه. انا... احبه كثيراً.»

«ووالده؟» سألها بما يشبه الهمس.

تلاحقت انفاسها، مجرد سماع صوته يجبرها على ان تمني النفس بوجوده بقربها، لن تجرؤ على مقابلته.

اجابت: «ماذا بشأنه؟»

«اتحبينه؟»

انها تحبه ولدرجة الجنون، لكنها قالت: «هذا سؤال غير عادل.»

«اجل، اعتقد ذلك.»

سمعت تنهيدته.

فقالت: «علي... الانصراف.»

«اظنك منشغلة بالافتتاح الكبير.»

«اجل.»

تودعا والقت تريشا السماعة ثم راحت تحدق فيها وكأنما بها ترجوها ان تعيد صوته اليها فتخبره عما يدور في خلدها، ولكنها واثقة بأن الكلام لن يفيد أو يبدل شيئاً.

امتلأ المتجر بزبائن جدد وقدامى، حتى ويزل وبعض الذين عملوا في المتجر حضروا برفقة زوجاتهم أو صديقاتهم. والمفاجأة الكبرى كانت لدى وصول المشاكسين اللذين عاكسا زنائن المتجر، وهما الآن بكامل لياقتهما وتهنيبهما، الاحتفال شارف على نهايته وكذلك قالب الحلوى، اما الصندوق فقد امتلأ بالنقود.

سألت لوسي: «اتصدقين، كل هذه الجموع؟ وكأن العيد الوطني على الابواب.»

«هذا رائع.» اجابت تريشا متظاهرة بالحماس.

كان الافتتاح بمثابة نصر ساحق، وهذا ما كانت تأمله، لما الآن فبدا لها انجازاً تافهاً، كانت تنظر إلى الباب كلما سمعت صريره، آملة ان يظهر منه رويس ولكنها لم تحصد سوى الخيبة وادركت اخيراً انه لن يحضر ابداً.

رغم انهما تشاركا بالكثير خلال الاشهر المنصرمة.

نظرت للإنجازات الجديدة التي استحدثتها، ولاحلامها التي لطالما سعت لانجازها وقد تحققت الآن، وادركت ان لوسي كانت محقة فالمتجر لن يقيها برد الشتاء القارس.

تنهدت بحرقة، فالماضي مضى ولا سبيل لارجاعه. رويس آثر الابتعاد، لا بد انه قد نسيها ومجرد التفكير بالأمر يؤلمها، عندما اغلقت الباب وراء الزبون الاخير تركت العنان لدموعها.

• • •

«متى ستكفين عن تعذيب نفسك وتعترفين للرجل بانك تحبينه؟»

سألتها بتينا وهي تقدم لها كوباً من الشاي وتجلس قبالتها.

«تشكلين مع داني ثنائياً رائعاً، وقد اجدت التصرف عندما انتابته أزمة الربو.»

قالت تريشا: «كيف عساك تقولين ذلك؟ فلقد كنت منهارة.»

«اجل، لاحقاً، وهذا شأن الامهات اللواتي يضحين بكل شيء لأجل ابنائهن.»

هزت تريشا رأسها وقالت: «لست ادري، بتينا، ماذا لو لم ينج داني؟ ماذا لو لم اتمكن من نقله إلى المستشفى؟»

قالت بتينا بغضب: «المهم انك اجدت التصرف وانقذت حياة داني. ومن يعلم لو كان كيفن مكانك، اكان انجز ما انجزته ام لا.»

تنهدت تريشا: «ولكنك ماهرة مع الاطفال وتجيدين التصرف في كل الحالات.»

«ليس صحيحاً.» هزت بتينا رأسها بشدة ثم تابعت: «عندما كان يصاب كيفن بأزمة مرضية كنت ارتبك جداً، وأرتاب في كوني سأتمكن من تجاوز المحنة.»

حدقت تريشا فيها وقد صعب عليها ان تتصورها في موقف مماثل. تعلم ان بتينا تقول لها ذلك لمساعدتها على تجاوز مخاوفها، انما هل الأمر بهذه السهولة؟

دخل في تلك الاثناء كيفين وداني وقد انهيا تمارينهما.

«مرحباً، عمتي تريشا.» قال كيفن معانقاً اياها.

«احرزت هدفاً اليوم.» قال داني وقد لاحظ وجودها.

ابتسمت تريشا للولدين ثم استدارت نحو داني قائلة: «احرزت هدفاً! هذا رائع داني!» احتضنته مفاجئة اياه. احست بغصة وقد ادركت انها تتمنى لو كانت هناك معه لتشهد كافة انتصاراته الكبيرة والصغيرة.

لكم اشتاقت اليه وإلى ضحكاته. آخر مرة رأته فيها كانت في المستشفى وكان شاحباً مذعوراً وها هو الآن بكامل صحته وعافيته.

لم يعد للمرض أي أثر فيه، وكادت تنسى مخاوفها وهي تراه هكذا.

اتجهت بتينا نحو الثلاجة لتحضر لهما المثلجات.

سأل جوف زوجته وقد دخل في تلك اللحظة: «أليس لي حصة؟»

ضحكت بتينا واعطته واحداً، ثم اثنين لها ولتريشا. ثم سألته: «اين رويس؟»

«سيمر لاحقاً لاصطحاب داني.» ثم التفت نحو شقيقته ليسألها: «أباقية انت للعشاء؟»

«ليس الليلة يا جوف.» اجابت تريشا التي صممت على الانصراف قبل وصول رويس. لكم اثّرت فيها رؤية داني، وتجهل مدى تأثير رؤيتها لرويس خاصة في وضعها النفسي الحالي.

انهى جوف تناول المثلجات ثم صعد ليأخذ حمامه، وخرج الولدان للعب، فقالت بتينا: «داني متعلق بك كثيراً.»

نظرت اليها تريشا، بتينا تعلم حقاً كيفية ضرب الحديد وهو حام. وقفت وراحت تذرع المطبخ ذهاباً وإياباً وقد تملكها الضياع. منذ شهر كانت حياتها اشبه بحلم جميل والآن... انها تحب ولا امل لها بذلك الحب، فأجابت: «اعلم يا بتينا.»

نظرت عبر النافذة إلى الولدين وهما يلعبان، كان داني يضحك وقد احتقن وجهه بتأثير الشمس واللعب. ولد جميل، ابن رويس، وخفق قلبها بشدة فهي تريدهما معاً، ولكن ايسعها تجاوز مخاوفها المتأصلة فيها؟ اتحب رويس لدرجة تجبر معها نفسها على تحمل مسؤولية ابنه؟

خطت بتينا نحو النافذة لتشاركها النظر إلى الولدين ثم قالت: «اتعلمين، الحياة سهلة بالنسبة اليهما، نحن الكبار فقط نجعلها معقدة.»

«اعلم.»

«داني بكامل عافيته، ولا اثر للنوبة التي عانى منها، لقد قادتك فطنتك تلك الليلة. حافظت على رباطة جأشك وانقذت حياته وستفعلين ذلك ثانية ان اضطررت.

«لقد احرز هدفاً اليوم، وهو هنا من اجلك.»

ابتسمت تريشا، وقد شعرت بالرضى من هذا الأمر. اغرورقت عينيها بالدموع، ولكنها دموع مختلفة هذه المرة، دموع السعادة. لقد فعلت اللازم ولكن انتابتها لاحقاً المخاوف القديمة التي ابعدتها عن الرجل الذي احبته، وعن سعادتها.

ربما كانت بتينا محقة، عليها ان تحب رويس لدرجة تجعلها تتغلب على مخاوفها القديمة.

وهي فعلاً تحبه، لاريب لها بذلك.

ولكن هل يحبها هو؟ وهل نسي كل شيء عنها؟ تنهدت مبتعدة عن النافذة وقالت بهدوء: «ارغب بالمحاولة، يا بتينا احب رويس وداني... انما...»

سألتها بتينا: «انما ماذا؟»

«ربما فقدت فرصتي الوحيدة معه، وربما يكون قد نسيني الآن.»

عانقتها بتينا وقالت: «لم ينسك ايتها البلهاء. عليك رؤيته. انه لا يأكل جيداً ويبدو انه لم يذق طعم النوم منذ ليال عدة، حتى انه لا يعمل.»

اتسعت عيناها دهشة وقالت: «اهذا صحيح؟» هل اشتاق اليها كما اشتقت هي اليه؟

اوضحت بتينا لها: «الرجل يحبك يا تريشا وكان سيطلب يدك ليلة اجتاحت داني نوبة الربو. ولكنه تراجع اذ صدمته حالتك النفسية، وهو يحبك لدرجة يسعى معها لتتجنبي المعاناة مجدداً.»

سألت تريشا والدموع تترقرق في عينيها: «احقاً قال هذا؟»

اجابت بتينا: «اجل.»

قالت تريشا من بين دموعها: «آه، اتظنينني قادرة على انجاح الأمر؟»

«أجل.»

«وعلى اجادة التصرف فيما لو انتابت داني ازمة أخرى؟»

أجابت بتينا: «مع رويس إلى جانبك ستكونين قادرة على أي شيء.»

كانت تريشا منهمكة بتجفيف دموعها عندما اتصل رويس ليخطرهم بانه قادم لاصطحاب داني. قاطعت تريشا حديث بتينا قائلة: «اخبريه انني سأقوم بتوصيل داني بنفسي.»

اوصلت بتينا الرسالة وعلائم الارتياح بادية على محياها.

• • •

كانت هذه مجرد عينة من الشجاعة التي قررت تريشا التحلي بها، قررت هذاوهي تنقل داني إلى منزله. انه الاختبار الأول.

سيكون عليها تخطي تجارب أخرى عديدة، ولكن ان كان رويس يحبها حقاً، كما تقول بتينا فستتمكن من تجاوز كل المحن.

كان داني يثرثر بجانبها غير مدرك بالصراع القائم في داخلها، وبأن مستقبلها كله يتوقف على تلك الزيارة.

سمع رويس صوت محرك سيارتها، وكان جالساً يحدوه

الأمل بان تكون هذه الزيارة التي تقوم بها تعني ما يتمناه.

كان يزرع الغرفة بخطواته منذ اقفل الخط. مد يده إلى ذقنه يلمس شعيراتها، انه لم يحلق منذ ايام ولا بد ان منظره مقيت ولكنه لا يقوى على دخول الحمام ليحلقها. كان شوقه اليها لا يوصف.

كان قد فتح الباب ووقف هادئاً، يراقب اقترابها منه وقد امسكت بيد داني.

هتفت: «مرحباً.»

كان نور الشمس متوهجاً لدرجة منعته من قراءة التعابير في عينيها.

أجاب بصوت مضطرب: «أهلا.»

ابتسمت برقة. تبًا، انها مرتبكة مثله تماماً.

«تفضلي.» دخلت فيما هرع داني بحثاً عن كورا وعن حلوياتها اللذيذة.

جف حلق رويس وتسارعت دقات قلبه حتى خيل اليه بانها تسمعها.

وقفا في الردهة يتبادلان النظرات لفترة بدت دهراً، اراد ان يأخذها بين ذراعيه ولكنه لم يجرؤ، ليس قبل ان يتبين مقصدها.

علم بعد ان رأى عينيها، بانها كانت تبكي، أو ربما تهم بالبكاء أو الاثنين معاً. لكنها لم تبدو حزينة، بل مترددة!

اخيراً تكلمت: «لقد كنت عنيدة، عنيدة وخائفة، متعلقة بهواجس الماضي التي كان عليّ دفنها منذ امد بعيد، لقد كنت صبوراً معي، هل يمكن لصبرك ان يطول فترة اطول؟»

«لماذا؟» قال بصعوبة وهو واثق من انه قد يفعل اي شيء لأجلها. قد ينتظر للابد لو كان واثقاً من الحصول عليها.

«احبك يا رويس.»

«اوه، تريشا، احبك واريدك في حياتي.»

«وانا أيضاً». همست ولكنها مدت يدها لتحول دون اقترابه منها. انها المسافة الأطول التي شهدها في حياته.

قالت بهدوء: «اود اصطحاب داني في موعده القادم مع الطبيب اود الاطلاع على جوانب مرضه كافة لاتمكن من اعانته ابان الازمات، لا انوي فقدانه ولا فقدانك.»

أجابها: «اعلم ما عانيته بسبب موت اليس واعلم ان مرض داني اعاد اليك مخاوفك، ولكم كرهت نفسي اذ سببت لك الألم.»

أخبرته قائلة: «أعلم، بتينا اخبرتني انك تفضل الخروج من حياتي على التسبب لي بالالم. ولكنني اريد ان احاول يا رويس. وان كنت تحبني وبامكانك ان تصبر علي فمن المؤكد سأنجح.»

«حبيبتي، احبك.»

«وماذا تنتظر؟»

عندما حاول ان يضمها، هتف داني عالياً من ورائهما: «يا للمشهد المخجل.»

استدارا فوجداه واقفاً في المدخل، يحمل في كل يد قطعة حلوى. كان مقطب الجبين مما جعلهما يغرقان في الضحك.

فقال رويس بعد ان هدأ من الضحك: «عليك اعتياد الأمر يا داني. تريشا ستكون معنا من الآن وصاعداً، ان كنت تعتبره مشهداً مخجلاً.»

«تقصد أنها ستقيم معنا؟ هل ستتزوجا؟»

اجابت تريشا ضاحكة: «أجل.»

«واوو!»

اسرع داني اليهما فحملاه وقبلاه معاً وهما لا يصدقان بأن السعادة جمعتهما اخيراً!

تمت

www.elrmancia.com مرمورية